حوارات في الدين والسياسة

محمد سليم العوّا

الطبعة الأولى

حاوره أحمد المسلماني

دار الشروق

حوارات محمد سليم العوّا مع أحمد المسلماني
دار الشروق

أحمد المسلماني

حوارات في الدين والسياسة

الدكتور محمد سليم العوّا

دار الشروق

حوارات في الدين والسياسة

الدكتور محمد سليم العوَّا

الطبعة الأولى ٢٠١٠

رقم الإيداع /٢٠١٠
ISBN

جميع حقوق الطبع محفوظة
© دار الشروق

٨ شارع سيبويه المصري
مدينة نصر - القاهرة - مصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩
فاكس: ٢٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
email: dar@shorouk.com
www.shorouk.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهــداء

إلى الأخ الوفي.. الصهر الكريم
نبيل عبد الصادق السنتريسي..
أول من اقترح إصدار هذا النص
مكتوبًا...

محمد العوَّا

المحتويات

مقدمة صغيرة لأفكار كبيرة – أحمد المسلماني ٩

بين يدي الكتاب – محمد سليم العوَّا ١٥

الحلقة الأولى ٢١

الحلقة الثانية ٤٧

الحلقة الثالثة ٧٣

الحلقة الرابعة ٩٩

مقدمة صغيرة لأفكار كبيرة

بقلم أحمد المسلماني

كنت في تايلاند في ربيع فائت.. وكانت المرة الأولى التي أذهب فيها إلى آسيا البعيدة. قضيت نهاراتٍ محدودة في بانكوك إلى أن جاء نهار الجمعة.

في تلك الأيام كنت قد أحطتُ بما يكفي عن بوذا والبوذية وعن ديانة الغالبية التايلاندية.. شاهدت بعض المعابد وتأملت بعض الطقوس وتحدثت مع مواطنين عن رؤيتهم للإسلام والمسلمين.

ولقد وجدت من الغالبية البوذية قبولًا للإسلام وتسامحًا مع المسلمين.

أديت صلاة الجمعة في مسجد علوي وسط العاصمة.. وبعد الصلاة تمددت غافيًا كما كنت أفعل في مسجد القرية في أوقات الاسترخاء.. ثم نهضت إلى مكتبة المسجد لأعرف طابعها العام.. فكانت المفاجأة صادمة.. كل الكتب تقريبًا تتحدث عن البوذيين الكفار، وعن الوثنية البوذية وعن الشعب التايلاندي الكافر، وثمة كتب عن ضرورة قتال أهل تايلاند حتى تدخلُ الغالبية البوذية في دين الأقلية من المسلمين.

لأنني قادم من عالم السياسة فكان لا بد أن أبحث عن احتمالات مؤامرة، عن ذلك الطرف الذي من مصلحته أن يشعل الحرب بين الإسلام والبوذية، لا سيما وأن ميزان القوة لغير المسلمين. ولقد تابعت بعد ذلك أنباء عديدة عن الاضطهاد الذي زادت حدته في مواجهة المسلمين، وعن تنظيم القاعدة في آسيا والذي أعلن الجهاد في ديار الآسيويين!

* * *

التقيت مسلمًا حصيفًا عاش في الهند سنوات طويلة.. سألته عن المسلمين هناك.. وكان تقديره داعيًا للقلق.. قال لي: إن عدد المسلمين في الهند ضعف عدد السلمين في مصر، والهنود المسلمون هم أبناء الهند وشركاء النهضة الهندية.. ورئيس الهند الذي يُلقب بـ«أبو الصواريخ» هو العالم الفيزيائي المرموق عبد الكلام.. وهو رئيس مسلم على رأس دولة يدين أغلب سكانها بالهندوسية. لكن هناك من يدفعون المسلمين دفعًا إلى الصدام مع غير المسلمين. وعلى الرغم من حكمة الغالبية العظمى من مسلمي الهند إلا أن الفصائل المتطرفة والتي باتت المتهم الدائم في تفجيرات الهند قد خطفت صورة الإسلام الناصعة إلى طريق قاتم.

ومرة أخرى تساءلت عن ذلك الطرف الذي من مصلحته أن يشعل الحرب بين الإسلام والهندوسية، لا سيما وأن ميزان القوة لغير المسلمين.

* * *

زرت فرنسا في توقيت مقارب وقضيت أسابيع في إستراسبورج، والتقيت «الدكتور عبد الله» خطيب مسجد إستراسبورج الذي ينتمي لعائلة مغربية تعيش في فرنسا. فقال لي الدكتور عبد الله: آمل أن تأتي إلينا بعد سنوات قليلة، ستصلي معنا في المسجد الكبير.. سيكون الأكبر في هذه المنطقة من أوربا، لقد زارتنا رئيسة البلدية وأخذنا قطعة أرض كبيرة.. سنبني مسجدًا جامعًا وحديقة واسعة ومركزًا كبيرًا للخدمات الثقافية الإسلامية.

ثم حكى لي الدكتور عبد الله عن صفقة مثيرة.. قال لي: إن حاخام إستراسبورج يقف معنا، ورؤساء اليهود هنا أوقفوا اعتراضهم على بناء المسجد الكبير، ذلك أننا عقدنا صفقة معهم.. نحن نؤيدهم في مطالبهم من الحكومة الفرنسية وهم يؤيدون مطالبنا. نحن نؤيد بناء المعبد الجديد وهم يؤيدون بناء المسجد الجديد. ثم أخذ إمام مسجد إستراسبورج رشفة كبرى أنهى بها فنجاج القهوة الأسير في يديه ثم قال: هل تعرف أن المعادلة بين المسلمين واليهود هنا في أوربا غير ها في الشرق الأوسط أو أمريكا أو بقية العالم.. إن أوربا المتسامحة مع اليهود مضطرة للتسامح مع المسلمين.

وإن الضغوط الكبرى التي يبذلها اليهود من أجل الديانة اليهودية هي غطاؤنا في الحصول على مزايا للإسلام والمسلمين.

والمعضلة هنا أن التيار الأوربي العنصري المعادي لليهود هو أيضًا عنصري معادٍ للمسلمين.

وإذا انهزم اليهود في أوربا وخرجوا منها فستسبقهم في الخروج جموع المسلمين.. انظر هنا في فرنسا إلى حزب الجبهة ومجموعة جان ماري لوپا.. إنهم ضد اليهود والمسلمين معًا، انظر إلى النازيين الجدد في ألمانيا والنمسا.. إنهم ضد اليهود والمسلمين معًا.

دعني أقل لك: لأننا سنجني كراهية أوربا لليهود، وسنخسر يوم يخسرون ونرحل يوم يرحلون.. فلماذا لا نستفيد اليوم وهم يستفيدون ونتوسع نفوذًا ومزايا، وهم يزدادون؟ لماذا نأخذ من عائد الكراهية لهم ولا نأخذ من عائد السطوة والنفوذ؟!!

* * *

لقد فكرت في المشاهد الثلاثة.. الإسلام والبوذية في تايلاند، والإسلام والهندوسية في الهند، والإسلام واليهودية في أوربا.. وأعترف أنني لا أجد باستمرار المنطق الأفضل في التعامل بين الإسلام والشرق أو الإسلام والغرب.. وكثيرًا ما أجد في الحوار والدهاء والفلسفة البراجماتية ما ينفع المسلمين، وأحيانًا ما أجد تعاطفًا شديدًا مع أقليات مسلمة جرى ظُلمها واضطهادها.. ودُفعت دفعًا للارتباك والانفلات.. وبات أفرادها بين خيارين كلاهما مُرّ: إما اعتياد الاضطهاد أو الاعتراض المشتبه بالإرهاب! ولقد جاء «زمن القاعدة» وما نُسب إليها من أهوال وأساطير لتُحيطَ لعنتُها بكل خروجٍ للمستضعفينَ من المسلمين.

ومع «زمن القاعدة» زحفت بوادر حرب أهلية داخل دار الإسلام.. وبات الاحتقان بين المسلمين والمسلمين أشد وطأة مما بين المسلمين وغير المسلمين. وإلى جانب الانقسام الكبير بين السنة والشيعة توزعت انقسامات أصغر بين السلفية والوسطية.. وبين الوهابية والصوفية.. وبين جماعات الإسلام السياسي وجماعات الإسلام

العبادي.. والأمر نفسه داخل خريطة شيعية مزدحمة تمتد من اجتهادات رفيعة لآية الله محمد حسين فضل الله إلى اجتهادات وضعية تقول بكفر أهل السنة!

* * *

إن فك ألغاز هذه الخريطة أمر شاق، والبحث عن صراط مستقيم بينها أكثر مشقة.. فالأمر يحتاج إلى بحث في تاريخ الإسلام وفي طبقات الساسة والعلماء.. وهو يحتاج إلى دراسة دولة الرسول ﷺ ودولة الخلفاء الراشدين ودول الخلفاء غير الراشدين.. وهو يحتاج -أيضًا- إلى فهم قضايا الخلافة والجهاد، والردة والفتوحات، والملل والنحل. وكل ذلك أمر عسير على المتخصصين فما البال بغير المتخصصين؟! كان عليّ أن أخالف الحكمة الشهيرة والمنسوبة إلى نابليون بونابرت «لا تعطني سمكة.. ولكن علمني كيف أصطادها». ورأيت أن الحكمة هنا على النقيض من ذلك تمامًا.. «أعطني سمكة.. وليس ضروريًا أن أصطاد».ولقد وجدت ولائم كبرى هي ضالتي ومبتغاي.. في أحاديث متفرقة تابعتها للمفكر الإسلامي الكبير د. محمد سليم العوَّا.. انبهرت بحسن حديثه، باللغة السهلة البليغة.. وبالتدفق الثري الذي يضيف على مدار الثانية.. بتلك الابتسامة الرائقة التي غادرت وجوه كثير من المفكرين والدعاة. في ذلك الإلمام الموسوعي بما أتمنى أن أعرف وما لا أعرف أنني أريد أن أعرف. وهو إلمام يوازي بين العقل والنقل.. بين الفلسفة والشريعة.. بين الدين والسياسة.. بين الكتب والبشر.. في تكوين جاذب ونادر.

كان الأستاذ العقاد يقول إن الإنسان حين يقرأ يضيف إلى عمره أعمار الآخرين. ويقيني أن القارئ الكريم سيشعر بعد الانتهاء من صفحات هذا العمل أنه كما قال العقاد.. حقيقة لا مجازًا.

* * *

يضم هذا الكتاب نص الحوار الثري الذي تشرفت بإجرائه مع المفكر الكبير الدكتور محمد سليم العوَّا ضمن برنامج الطبعة الأولى. وقد أذاعت «قناة دريم» المصرية واسعة الانتشار الحوار في أربعة أجزاء.. ولمّا كانت طلبات الإعادة التي تقدم بها السادة المشاهدون لا نهاية لها.. لم يكن هناك حلّ غير إنجاز ذلك النص

الرائع بين دفتيّ كتاب. وقد تفضل الدكتور العوَّا بالنظر في نص الحلقات وأضاف إليها عددًا من الهوامش الإضافية.

* * *

إنني مدين بالشكر والتقدير إلى الدكتور أحمد بهجت المالك لقنوات دريم الذي رحب على الفور بصدور هذا الكتاب دون أن يناقش حقوق البث أو النشر.. مؤمنًا ـ كعادته ـ بالوظيفة الفكرية والوطنية لقناة دريم. كما أن المهندس إبراهيم المعلم لم يتردد لحظة في تثمين هذه الفكرة والإلحاح على إنجازها.. وهو ما وجدت صداه عند الأستاذ أحمد الزيادي الذي كان أول القراء، والشكر واجب للأستاذة أمل العشماوي مساعدة الدكتور محمد سليم العوَّا التي قامت بتفريغ الحلقات، وكذلك أسرة «الطبعة الأولى».. الفريق المؤسس الأصدقاء: هشام يونس، وسمر الجمل، ونادين قناوي وطاقمها الحالي الزملاء: محمد خفاجي، وأحمد عبد الباقي وهاني عاطف خلاف.. وإلى مخرج هذه الحلقات الأستاذ أحمد السيد، وإلى مخرج الطبعة الأولى الأستاذ أكرم فاروق.

عزيزي القارئ:

حان الوقت لكي نبدأ معًا رحلة ممتعة في جغرافيا الإسلام وتاريخ المسلمين.. في الفكر السياسي عند الدكتور محمد سليم العوَّا.. فإلى هناك..

أحمد المسلماني

الزمالك – بسيون ٢٠١٠

بين يدي الكتاب

في شهر رمضان ١٤٣٠هـ بثت قناة دريم التلفزيونية أربع حلقات من برنامج «الطبعة الأولى» كنت فيها ضيفا على الإعلامي النابه الأستاذ أحمد المسلماني. ونشرت «المصري اليوم» تلخيصًا وافيا لما تضمنته كل حلقة ـ باتفاق بينها وبين قناة دريم ـ في اليوم التالي لبثها.

وقد أعيد بث هذه الحلقات عدة مرات على مدار العام الماضي استجابة لرغبة المشاهدين.

وبعد إلحاح متواصل من كثير من الأصدقاء، الذين رأوا أن تظهر الأفكار والموضوعات التي تناولَتْها تلك الحلقات في كتاب يصل إلى الناس، ويكون تحت أيديهم في أي وقت. قام الأستاذ أحمد المسلماني بتحرير نص مكتوب، صالح للنشر، هو هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ.

ومن ردود الأفعال، التي نشرها بعض أرباب الأقلام، ومما بلغني من عدد من الأصدقاء، عن صدى ما بثته دريم، أو ما نشرته المصري اليوم، في ذلك الوقت، تبينت أن بعض المسائل تقتضي بيانا لحقيقة ما قلته، كشفا لما أخفاه السياق من المعنى، أو إيضاحا لما يقع من فارق بين النص المنطوق في الحلقات التلفزيونية وبين النص المكتوب، أو تأكيدا لرأي قد يكون بعض المشاهدين، أو القراء الكرام، رأوه غريبا أو غير مألوف.

* * *

المسألة الأولى، التي تقتضي بيانا لحقيقة الرأي فيها، هي مسألة دور العلماء في الشأن السياسي.

فقد فهم بعض الناس مما نشر في المصري اليوم، لا مما قيل، أنني أرى وجوب إقامة دولة دينية يقوم على شئون الحكم فيها علماء الدين (أو رجاله). وأنني أتخذ نموذجا لهذه الدولة ما صنعه العلماء في إيران من قيادة الثورة الإسلامية التي قضت على حكم الشاه وأقامت الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

وهذا الفهم هو أبعد ما يكون عما قلته، وعما كتبته مرارًا منذ أكثر من ثلاثين سنة. ومما ينبغي شكر التقنية الحالية عليه أن النص الذي بثته قناة دريم مرفق بالكتاب على قرصٍ مدمج، ويستطيع من شاء أن يرجع إلى النص المنطوق ليتبين حقيقة ما قلته وصِلته ببعض الذي قد يفهم منه (!!)

إن رأيي، الذي لم تزدني الأيام به إلا اقتناعا، أن علماء الدين لهم دور مقدر محترم واجب الوجود في المجتمع المسلم. هو دور بيان أحكام الإسلام من حلال وحرام ونحوهما؛ ودور التوعية بالقيم الإسلامية الشاملة لجميع جوانب الحياة وشؤونها، بما في ذلك الشأن السياسي بلا ريب؛ هو دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا وقع ترك المأمور به، أو الاستخفاف بوجوب اجتناب المنهي عنه. وهم في هذا البيان لا يجوز لهم الخوف مما يخيف عامة الناس، ولا الرغبة فيما يطمع فيه طلاب الدنيا ومجدها ومالها، بل عليهم العمل بقول الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٩].

ولا شأن لشيء من هذا بممارسة الحكم، أو تولي السلطة السياسية، أو الهيمنة على قرارات الدولة أو الحكومة. غاية ما في الأمر أن العلماء مأمورون أن يقولوا للمحسن أحسنت ليشجعوه ويقفوا إلى جواره في الحق الذي أصابه، وأن يقولوا لمن أساء أسأت، ويبينوا له وجه خطئه، ويدعونه إلى الرجوع عنه، ويظهروا للناس الحق والباطل، والصواب والخطأ ليستقر الحق ويزهق الباطل. وهذه هي بعض معاني المرجعية الإسلامية التي يجب أن يقوم عليها نظام أية دولة إسلامية، أو يقوم على التسليم بها.

ولا يجوز أن يمنعَ نظامُ مثلِ تلك الدولةِ العلماءَ من أداء هذه الواجبات. ولا يجوز للعلماء أن يروا أنفسهم مَوظفين لدى الحكومات، يأتمرون بأمرها وينتهون عند نهيها. ومن رأى نفسه كذلك فعليه أن يكتفي بالانتماء إلى طائفة الموظفين الحكوميين، وهي طائفة جليلة محترمة، تؤدي أعظم الخدمات للناس وأهمها، ولا يمكن الاستغناء عنها، بيد أن الدخول فيها شيء والدخول في زمرة العلماء العاملين شيء آخر.

* * *

المسألة الثانية، هي مسألة كلامي في إحدى الحلقات عن إخواننا الأقباط.

وهو كله مما سبق لي نشره في كتابي «للدين والوطن»[1]. وحاصله أن العلاقة بين الأقباط والمسلمين علاقة أخوة أزلية لا تنفصم، يعروها بين حين وآخر فتور أو نفور أو خلاف أو خصومة، وهي أمور لا تخلو منها علاقة جماعة متميزة بجماعة أخرى في الوطن الواحد.

وقلت ـ ولا زلت أقول ـ إنه جَدَّ على هذه العلاقة أمور لا ينبغي أن تدوم، وقد وصفتها تفصيلا في كتابي سالف الذكر فلا مسوّغ لإعادتها هنا. لكن الذي قلته، ولم يفهم على وجهه الصحيح، هو أن مسلك بعض المطبوعات القبطية الكنسية، الأرثوذكسية والإنجيلية معا، أصبح فوق ما يحتمله شعور المسلمين، وفوق ما يقبلون أن يوصف به رموزهم وشعائر دينهم وشريعتهم. وحذّرت من مغبة استمرار هذا المسلك، وليس هذا التحذير ـ كما فهم بعض المحبين الطيبين ـ تهديدًا ـ معاذَ الله ـ ولا هو تحريضًا ـ علمَ الله ـ لكنه نصح توجبه الأخوة في الوطن. والناصح قد أدّى ما عليه بنصيحته، وعلى المنصوح النظر والاعتبار؛ وله ـ قبل النصح وبعده ـ كامل الاختيار. ونحن لا نستطيع أن نمتنع عن نصح إخواننا في الوطن خشية أن يساء فهم النصيحة، فإن إرضاء الله بأداء حق الأخوة الوطنية أحب إلينا من إرضاء بعض المحبين بالسكوت، غير الجائز، عن مثيرات القلق وبواعث الفتن.

* * *

(١) نهضة مصر، الطبعة الثالثة ٢٠٠٩.

المسألة الثالثة، التي اقتضت مزيد بيان، هي مسألة الجماعات السياسية الإسلامية في الدولة الإسلامية.

وقد جرى ذكر هذا الأمر بمناسبة حديث في إحدى الحلقات، عن مشروع جماعة الإخوان المسلمين: ما تحقق منه وما لم يتحقق.

وحاصل القول ـ عندي ـ في مسألة العمل السياسي الإسلامي إنه دعوة إلى تمثل المرجعية الإسلامية في المجتمع. والأصل أن تقوم بذلك الأحزاب السياسية التي تؤمن بتلك المرجعية، وهي، بالضرورة، تؤمن بمدنية الدولة ومؤسساتها وقوانينها وقضائها وسائر سلطاتها مع إيمانها بوجوب التزام الدولة في كل ذلك بثوابت الإسلام، والعلماء يعرفون كم هي محدودة العدد، والوقوف عند قيمه التي تحتمل تطبيقات متعددة متنوعة في العصر الواحد أو العصور المتتالية، وفي المكان الواحد أو الأماكن المختلفة. ولا تزال حكومتنا ـ بل حكوماتنا المتعاقبة ـ تمنع حزب الوسط، الذي يدعو إلى هذا كله، من العمل العلني المرخص به، وكأنها تفضل العمل الممنوع على العمل المشروع لحاجة تدركها ولا نفهمها (!)

والدور الذي يجب أن تقوم به الجماعات الإسلامية هو الدعوة، والتربية، والتوعية بأصول الإسلام وفروعه، والرعاية الاجتماعية المبنية على تعاليم الدين؛ فذلك أنفع للإسلام نفسه، وللعمل السياسي المهتدى بهديه، من اشتغالها المباشر بالسياسة الذي لم يجلب عليها إلا محنًا متوالية، كلما خرجت من واحدة دخلت في التي بعدها(!) ومهما يكن الرأي فيما يصيب هذه الجماعات وأعضاءَها، فإن العافية أوسع لها، وأنفع لدعوتها، وأجلب للخير المطلوب، وأبعد من الشر المكروه؛ والله غالب على أمره علم الناس أم لم يعلموا.

ولا يجوز أن تكون الدعوة إلى الإسلام سرية، ولا أن تتخذ العنف وسيلة لإكراه الناس على قبولها أو للانتقام من خصومها. ومن يفعل ذلك، أو يروج له، فإنه لا خلاف بين العلماء، المعتد بعلمهم، في خطئه، وهذا الخطأ يجب قياسه والمحاسبة عليه بمقدار القول أو الفعل بلا زيادة ولا نقصان.

* * *

إن الذي يتأمل حال الفكر الإسلامي في زمننا هذا يجد نفسه أمام مدارس ثلاث أو مناهج ثلاثة. فمدرسة أصحابها يرون فصل الدين كله عن الحياة كلها، وحصره في علاقة فردية بين المرء وربه هي علاقة تعبد ـ إن وجد ـ أو علاقة لا يعرف أحد كنهها لأنها خاصة بكل امرئ وحده دون سواه.

ومدرسة يرى أصحابها أن الدين مظهر قبل أن يكون جوهرا. وأن اللحية والجلباب والنقاب هي الأصول، التي يفوز المتمسك بها، ويخرج من زمرة المقبولين تاركها.

ومدرسة ثالثة تدعو إلى جعل الدين أساس الحياة في قيمه وجوهره وأخلاقه وتشريعاته. وترى الإنسان حرًّا مكلفا بتحقيق مصلحته فيما وراء النطاق، المحدود جدا، الذي أتت الشريعة فيه بأحكام تفصيلية. وتحقيق المصلحة يقابله دفع المفسدة وكلاهما من واجبات الدين ومهماته، بل إن من العلماء من قال إنهما أصل الدين كله. وهذه المدرسة ترى وجوب طاعة الله تعالى فيما أمر به أو نهى عنه، ووجوب الاجتهاد المستمر في جلب المنافع ودفع المضار، وأن هذا الاجتهاد يتغير ويختلف الناس فيه، ولا ترى بذلك بأسا ولا تستشعر منه غضاضة.

وهذه، في نظري، هي مدرسة الوسطية الإسلامية التي نتمنى أن يفيء إليها أهل الإفراط والتفريط جميعا، فيستقيم لهم أمر دينهم وأمر دنياهم معا.

ولا يحسن بي أن أنهي هذه المقدمة دون التعبير عن تقديري الخاص للأستاذ أحمد المسلماني الذي أجرى الحوارات معي، وراجع نصها وحرره وأعدَّ بعناية فائقة عناوين فصوله وفهارسه؛ وعن عرفاني وامتناني للابنة الغالية أمل العشماوي، مساعدتي العلمية، التي بذلت جهدًا خاصًا في إعداد النص الأصلي لهذا الكتاب، وصنع ما زيد عليه من حواشٍ، وهو جهد يوجب عليَّ شكرها والدعاء لها.

وأسأل الله أن ينفع بهذا النص المكتوب، كما نفع بالنص المنطوق،

والحمد لله رب العالمين.

محمد سليم العوَّا

القاهرة في: ٥ من شوال ١٤٣١هـ

١٤/ ٩/ ٢٠١٠م

الحلقة الأولى

- الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين أمل راود المسلمين منذ سقوط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤.
- صحيفة المدينة هي دستور للدولة مكوّن من (٤٧) مادة.
- لدينا ستة من الخلفاء الراشدين.. الخليفة الخامس الراشد هو الحسن بن علي بن أبي طالب والخليفة عمر بن عبد العزيز هو سادس الخلفاء الراشدين.
- لم يدع معاوية الخلافة قبل تنازل الخليفة الخامس الحسن بن علي له.. ومعاوية لم يأخذ الخلافة بالقوة.. بل أخذها بتنازل الحسن وبيعة المسلمين.
- لا أستطيع أن أجد عالمًا يصلح للحكم في بلاد السلمين، ولا يوجد حاكم في الأمة الإسلامية يستطيع أن يجتهد في الأحكام الشرعية؛ لذلك فإن الفصل بين الإمامة السياسية والإمامة الدينية.. واجب.
- لا توجد حتمية شرعية، لا في الخلافة ولا في غيرها من نظم الحكم، الخلافة نظام ابتكره الصحابة بعد وفاة الرسول لاستمرار الدولة.

- **الدكتـور محمـد سليم العوَّا في صحبة الحلقة الأسبوعية من الطبعة الأولى.. أهـلا وسهلا يا دكتور وشرفتنا ونورتنا وكل سنة وحضرتك طيب..**

- أهلا وسهلا بك وكل عام وأنتم بخير والمشاهدين جميعًا بخير إن شاء الله.

- **الدكتور محمد سليم العوَّا، من الاسم.. اسم (العوَّا) غريب قليلا على الثقافة المصرية. من أين العائلة،؟ ومن أين الاسم،؟ وكيف كان سِفر التكوين؟**

- بسم الله الرحمن الرحيم..

أنا أولا عندي اعتراض أن اسم العوَّا غريب على الثقافة المصرية، أنا أعتبره، على الأقل في جيلي، اسم معروف في الثقافة المصرية.

الاسم شامي من أصل سوري من دمشق من منطقة اسمها الغوطة في دمشق لا تزال موجودة ومعروفة وعائلة العوّا هناك كبيرة.

- **يعني عائلة العوَّا في سوريا؟**

- هي أصلا من سوريا وكل من يوجد في العالم من العوَّا (أ ل ع وا) هو من هذه العائلة. يوجد منها في اليابان، في الصين، في أمريكا الجنوبية والشمالية، وشجرة العائلة فروعها أكثر من أصولها، أي لها أصل واحد من الشام وفروعها في أنحاء العالم متفرقة.

بدأت صلتنا بمصر بهجرة جدي أبو أبي، رحمة الله عليه عبد الله سليم العوَّا، هاجر في أواخر القرن التاسع عشر إلى مصر نتيجة اضطهاد سياسي، فقد كان صحفيا وكتب كلامًا لم يعجب الحكام هناك، فهرب من اللاذقية في سفينة إلى الإسكندرية..

- **يعني توجد بذور جينية للاختلاف؟**

- نعم هذه بذور أصلية. جاء إلى مصر واستقر بالإسكندرية، حيث أنزلته السفينة وعمل موظفًا في المجلس البلدي، والدكتور يونان لبيب رزق، الله يرحمه كان صديقًا عزيزًا، اكتشف أنه لم يترك الصحافة عندما جاء مصر، ونشر هذا في ديوان الأهرام ديوان الحياة المعاصرة، وأنه كان يراسل جريدة تصدر في القاهرة. فالجرائد المهمة تصدر في القاهرة وتحتاج مراسلين فهو عمل مراسلا، بالإضافة إلى عمله في المجلس البلدي في الإسكندرية، ونقل عنه حادثة مشهورة وكان دائما يقول لي جدك كان مشاغبا، وأنا كنت مشاغبا، فطبعا هذه موروثة مثلما قلتَ. استقر في الإسكندرية وتزوج امرأة صعيدية أبوها جاء من المغرب فاجتمع بهما الشامي على المغربي مثلما يقول المثل.....

- **المثل حرفيًا**

- حرفيًا.. هي أبوها جَدُّه من البربر المغاربة وجاء وأقام في مصر..

كثير من العائلات المصرية أصلها من ليبيا أو الجزائر أو تونس أو أي بلد كانت مصر له معبرا للحج، فقد كان الناس في طريقهم إلى الحج يمرون بها، فإما يمكثون لعدم استطاعتهم أن يستكملوا السفر للحج أو في طريق عودتهم من الحجاز تحلو لهم الديار المصرية، والنيل والنخيل والشجر والشعب الطيب الذي لا يزال كذلك رغم كل المحن، فيستقروا في مصر وتبدأ رحلة حياة جديدة فيها.

والعائلات المصرية المشهورة كثيرة مثل عائلة العشماوي أصهاري ومنهم الأستاذ حسن العشماوي، أستاذي رحمة الله عليه، جدهم الشيخ العشماوي جاء من الحجاز في طريقه إلى مكان ما فأعجبته مصر فاستقر بها، الدكتور توفيق الشاوي أصلهم من الشاوية من الجزائر جاء جدهم في طريقه إلى الحج ورجع فاستقر بالقرب من دمياط وبقي فيها، وأصبح هناك قرية اسمها

الشاوية، وهناك قرية الغنيمية متقابلتين وهما كذلك في الجزائر قرية اسمها الغنيمية[1] وقرية اسمها الشاوية متقابلتان كذلك ونفس الشيء هنا في مصر. فنحن ممن استقر بهم المقام في مصر لأسباب سياسية وأنجب جدي أبناءه وبناته كلهم في الإسكندرية وأنا من هذه السلالة المصرية.

- **أهلا وسهلا بحضرتك..**

الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين، ما فكرته.. أصوله وجذوره، كيف نشأ وما هو الوضع الحالي له؟

- الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين هو منظمة شعبية إسلامية تسعى إلى أن تكون ممثلا شرعيا للأمة كلها، لا يرتبط بالحكومات ولا يخضع لسلطانها، ولا يضم في عضويته المتعصبين للأحزاب أو للجماعات ذات التوجه الذي يسيطر عليه فكر واحد، وإنما هو كيان مفتوح لكل المسلمين. هو أمل راود المسلمين منذ زمن طويل، أستطيع أن أقول من بعد سقوط الخلافة، لأنه من بعد سقوط الخلافة العثمانية ١٩٢٤، لم يكن للمسلمين كيان جامع للعلماء؛ والأمة قبل نشوء هذا الاتحاد لم يكن لها قيادة إسلامية تعبر عنها، على الرغم من وجود مؤسسات مهمة مثل الأزهر في مصر، والزيتونة في تونس، والقرويين في المغرب.

الاتحاد بدأت فكرته الأولى في رأس رجلين عظيمين من رجال هذه الأمة في وقت واحد، الدكتور توفيق الشاوي[2] والدكتور يوسف القرضاوي، كنا في ندوة في الجزائر عن «مستقبل العالم الإسلامي» عام ١٩٨٩، وطرح الدكتور

---

(١) وأسرة الشاوي من أهل الغنيمية (!).

(٢) توفي رحمه الله عن أكثر من تسعين سنة، نهار يوم الأربعاء ١٢ من ربيع الآخر ١٤٣٠هـ =٨/ ٤/ ٢٠٠٩. وقد صلّى عليه في مسجد الفاروق القريب من بيته بالمعادي (فيلا السنهوري باشا)، وأقيم العزاء بالقاهرة في البيت نفسه مساء الخميس ١٣ من ربيع الآخر=٩/ ٤/ ٢٠٠٩. وله ابنة واحدة (كريمة) وله منها حفدة بنين وبنات.

الشاوي فكرة اتحاد سماه اتحاد المفكرين والعلماء المسلمين، وتبنى أو قال بطرح مماثل الشيخ القرضاوي سماه اتحاد العلماء والمفكرين المسلمين، وبدأ القرضاوي وبعض الذين ساعدوه، وكنت منهم، في الدعوة لهذا الاتحاد، وكتب الشيخ القرضاوي رسالة طويلة جميلة مؤثرة تشرح حال الأمة وتدعو العلماء إلى التواصي بالاتحاد من أجل النهوض بالأمة وإعادة حالها إلى ما كان عليه.

ووجهنا هذه الرسالة إلى عدد كبير من العلماء يزيدون على الألف عالم، واستجاب لنا عدد كبير جدًّا من هؤلاء الناس، وأنا لا أعرف أحدًا رد علينا فقال أنا غير موافق، لكن رد أغلب الناس بالموافقة، وبعضهم سكتوا واعتبروا أن سكوتهم دليل على قبولهم للفكرة، وفوجئنا في الاجتماع التأسيسي للاتحاد، الذي عُقد في لندن - بريطانيا، بناس كثيرين حضروا لم يكونوا قد أرسلوا موافقتهم على رسالة الدعوة. وقد كنت مكلفا آنذاك أن أعرف من حضر ومن لم يحضر وأعد محضرًا للاجتماع. وعندما سألت بعض الذين حضروا إذا كانوا قد أكدوا حضورهم كانوا يقولون: «نحن جئنا عندما بلغتنا الدعوة وعلمنا بموعد التأسيس، ولم نخبر أحدًا، أليس هذا اتحاد الأمة نحن جزء من الأمة»(!) فكان هذا هو شعور الناس واعتبروا أن مجرد حضورهم يعد دليلا على الموافقة.

كان الدكتور توفيق الشاوي، رحمة الله عليه، قد مرض في هذا الوقت فلم يستطع أن يحضر الاجتماع التأسيسي، لكن من شدة حرصه على دعم فكرة الاتحاد أرسل أخانا العزيز الأستاذ الدكتور أحمد فريد مصطفى[1] ليمثله شخصيًا، والدكتور الشاوي والعلامة آية الله السيد محمد حسين فضل الله، رحمه الله، أرسل ابنه السيد علي ممثلا له في الاجتماع وألقى كلمة والده نيابة

(١) العميد السابق لكلية الهندسة في جامعة الرياض ومستشار للمدارس العالمية الإسلامية.

عنه. فكان الشاوي وفضل الله هما الوحيدان اللذان حضر ممثل لكل منهما بينما حرص كل من يستطيع الحضور بنفسه على ذلك، مثلا أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي، البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي حضر بنفسه وألقى كلمة الضيوف في الافتتاح، وكثيرون من ذوي المشاغل الضاغطة آثروا الحضور بأنفسهم لشعورهم بأهمية تأسيس هذا الاتحاد.

وفي مسيرة التأسيس وجدنا أنه من الملائم تعديل الاسم ليصبح اتحاد العلماء المسلمين بدلًا من العلماء المفكرين، باعتبار أن المفكر لابد أن يكون عالمًا، بوجه عام، والعالم لابد أن يكون مفكرًا، على نحو ما، فكلمة واحدة تكفي فاخترنا كلمة العلماء.

- **أين كان التأسيس؟**

- التأسيس كان في مرحلتين، أو في مكانين، لكن هناك شيئا أريد أن أقوله لحضرتك وهو أننا سعينا إلى تأسيس الاتحاد في معظم البلاد العربية وأخفقنا، وإحدى البلاد على وجه الخصوص أعطتنا موافقة مرتين وفي إحدى المرتين حددت المكان الذي ستجعله مقرا للاتحاد هدية منها، وفي المرتين شخص مسئول في هذا البلد يعود فيتصل بأخينا الدكتور يوسف القرضاوي ويعتذر إليه ويقول: لا أستطيع الآن.

فوجدنا أننا لن نستطيع أن نظل تحت رحمة الذين لا يستطيعون ولا يملكون قرارا في أراضيهم، ولا الذين لا يريدون أن يتخذوا قرارا ـ لغاية في أنفسهم ـ بأن ينشأ الاتحاد في أراضيهم، ولا الذين يبغضون أن يكون الاتحاد في بلادهم. فقلنا بلاد الله واسعة، والقرآن الكريم يقول ﴿...أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا...﴾ [النساء:٩٧]، ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً...﴾ [النساء:١٠٠] فقررنا الهجرة. فهاجرنا بالاتحاد إلى أيرلندا، فأسسناه في ثلاثة أشهر بإجراءات بسيطة جدًّا، قام بها محامٍ، تقاضى

أتعابًا تعتبر رمزية بالنسبة لأتعاب المحامين هناك، وأسسناه في أيرلندا، وقمنا بمشروعات متتالية إلى أن أسسناه التأسيس الفعلي بالافتتاح في مقر التأسيس في اجتماع حاشد انعقد في مدينة لندن سنة ٢٠٠٤.

عقدنا الجمعية العامة التأسيسية للاتحاد سنة ٢٠٠٤، وبالتحديد في ٢٣ من جمادى الأولى ١٤٢٥هـ = ١١ يوليو ٢٠٠٤م. وانعقد الاجتماع التأسيسي في لندن وحضره أكثر من ٦٠٠ عالم وأُقِر نظامه الأساسي، وانتُخِب أعضاء مجلس أمنائه، وانتخِب رئيسه ونواب الرئيس، وضم الاتحاد علماء من أهل السنة ومن الشيعة الإمامية، ومن الشيعة الزيدية، ومن الإباضية، وضم علماء من المقيمين في البلاد الشرقية، وعلماء من المقيمين في آسيا وأوربا وأمريكا وإفريقيا، ومثَّل مجلس أمنائه، الأول والثاني، ألوان هذا الطيف المتباعد كله.

فلدينا في مجلس الأمناء أعضاء من جنوب إفريقيا، من أندونيسيا، من نيجيريا، من مصر، من إيران، من السودان، من باكستان، من الهند، من اليمن، من عُمان، نواب الرئيس (الشيخ عبد الله بن بيه) من موريتانيا سني، والشيخ (آية الله محمد علي التسخيري)[1] من إيران شيعي إمامي، والشيخ (أحمد بن حمد الخليلي) إباضي وهو مفتي سلطنة عمان هؤلاء هم نواب الرئيس.

- **كم عضو تقريبا؟**

- أعضاء مجلس الأمناء سبعة وأربعون عضوًا منهم ثلاثون عضوًا منتخبون من الجمعية العامة ولمجلس الأمناء ضم عددا لا يجاوز العشرين إلى عضويته لتغطية بلاد أو تجمعات أو مذاهب لم ينتخب منها أحد، ولكن أعضاء الاتحاد يزيدون على ١٠٠٠ عضو من جميع أنحاء العالم، والعضوية مفتوحة ينضم إلينا كل يوم ناس جدد، وهناك لجنة للعضوية تفحص الطلبات وتبحث

(١) في رجب ١٤٣١هـ = يوليو ٢٠١٠م. عقدت الجمعية العامة الثالثة في إستانبول وانتخب آية الله واعظ زادة الخراساني نائبًا للرئيس بدلا من آية الله محمد علي التسخيري الذي قيل إنه اعتذر عن الاستمرار في المنصب.

أوراق الأعضاء المتقدمين الجدد، وتوصي لمجلس الأمناء بما تراه مناسبًا في كل حالة على حدة.

- **المقر الرئيسي هناك في أيرلندا؟**

- المقر المسجل قانونًا في أيرلندا، لكن المقر الرئيسي فعليًّا هو القاهرة (مقر الأمانة العامة)[1]، ومنه نمارس معظم نشاطاتنا، وهناك مقر رئيسي آخر للاتحاد في قطر يمارس منه الشيخ يوسف القرضاوي نشاطاته ونشاطات كثيرة باسم الاتحاد، فعمل الاتحاد الرئيسي موزع من الناحية الفكرية والعلمية في القاهرة، ومن الناحية الإدارية بين القاهرة وقطر وأحيانا بيروت، فمعنا أحد أعضاء مجلس الأمناء المسئول عن النواحي المالية والإدارية فضيلة المستشار الشيخ فيصل مولوي، بيروت تقوم بدور، وقطر تقوم بدور، ومصر عليها الدور الثقافي والعلمي والتربوي.

- **تكلمت عن الخلافة الإسلامية وسقوطها وبالتالي كانت أحد الأسباب المؤدية لقيام الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ثم الإشارة إلى بعض المذاهب الإسلامية، ماذا عن الخلافة والمذاهب؟**

- قبل الخلافة والمذاهب دعني أقول لحضرتك إن العلماء دعوا، بزعامة محمد رشيد رضا عالم مصر القادم من لبنان، بمجرد سقوط الخلافة، إلى أن يقوم بديل عن الخلافة هو حكومة للعلماء أو نظام للعلماء، كرروا كلمات كثيرة مثل خلافة للعلماء..

ولكن لم يجدوا استجابة حتى أن محمد رشيد رضا دعا إلى أن يعين حاكما للمسلمين يكون خليفة وقال: سلطان نجد أحسن واحد، كان سلطان نجد هو عبد العزيز آل سعود في ذلك الوقت. فكان الناس في غاية التشوف إلى أن

(١) أغلق هذا المقر في شعبان ١٤٣١ = يوليو ٢٠١٠ بعد أن أصبحت الأمانة العامة مقرها قطر لانتهاء مدة الأمين العام الأول دكتور محمد سليم العوَّا وأصبح الأمين العام الحالي هو الدكتور على القره داغي، وبذلك أصبحت الرئاسة والأمانة مقرهما دولة قطر.

يكون هناك جامع إسلامي جديد يضم هذه الأمة، ثم جاءت الدول القومية، ورحل الاستعمار عن بلادنا وحدث ما حدث.

وأنا أستدل بهذه الواقعة على استمرار حلم جمع الأمة على كيان واحد، وإن لم يأخذ هذا الحلم صورة واحدة..

من رشيد رضا إلى مشروع اتحاد العلماء المسلمين. ونحن قد سعينا إلى تحقيق هذه الأمنية، والحمد لله استجابت لنا الأمة، ونحن نشعر أن استجابة الأمة هائلة جدًّا جدًّا.. لكل الأشياء التي عملناها.. وإذا كان هناك فرصة مناسبة أقول لك عن الذي عملناه في دارفور والذي عملناه في العراق والذي عملناه في الصومال والذي عملناه بالتعاون مع منظمة المؤتمر الإسلامي عملنا أشياء كثيرة وكبيرة في المدة من ٢٠٠٤ لـ ٢٠٠٩ خمس سنوات هي عمر الاتحاد فهو لم يبلغ سن التمييز بعد، ومع ذلك فهو مولود عملاق.. عملاق جدًّا

- **فإذا عدنا إلى الخلافة؟**

- الخلافة هي نظام لرئاسة الدولة، عرفت الدنيا قبل الخلافة نظمًا كثيرة، عرفت الإمبراطوريات، عرفت الكسروية في فارس، والقيصرية في بلاد الروم، وعرفت المُلك في ملوك العرب وملوك العجم، حول الجزيرة العربية، كانت هناك نظم كثيرة للحكم في المنطقة، الجهة الوحيدة التي لم تعرف نظاما للحكم، نظامًا سياسيًا للحكم، كانت الجزيرة العربية، كانوا مجموعة قبائل متناحرة يغزو بعضها بعضًا، ويقاتل بعضها بعضًا، وليس لديهم سلطة جامعة واحدة.

لما جاء الإسلام حوّل هذه القبائل المتناحرة والمتنافرة إلى أمة، واستعمل هذا التعبير وسماهم أمة. القرآن قالَ لهم ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، هذه الأمة تحتاج إلى نمط مختلف للحكم، لا يمكن أن تتحول، هذه الأمة، بمجرد موت الرسول ﷺ إلى قبائل تتناحر مرة ثانية، فماذا تفعل؟ المسلمون،

أصحاب النبي ﷺ وجدوا أن من واجبهم البدء في تكوين الدولة في اللحظة، التي توفي فيها الرسول ﷺ، وتقديم هذا التكوين حتى على تغسيله وتكفينه ودفنه ﷺ.

الرسول ﷺ دفن، على عدة أقوال، بعد يوم أو يومين أو ثلاثة، هذه المدة كلها قضوها في الاتفاق على الخليفة الذي يأتي بعده، واتُّفق على أبي بكر ففكرة الخلافة هي فكرة استمرار الدولة الإسلامية التي أنشأها الرسول ﷺ، كيف أنشأ الرسول ﷺ دولته؟ الرسول كان نبيًا يوحى إليه القرآن الكريم ويعلمه للناس، أو يقول الكلام ويفعل الأفعال التي نسميها الآن السنة، فكيف أقام دولة؟ أقام الدولة الإسلامية من يوم وصوله إلى المدينة، أبرم بينه وبين سكان المدينة من المسلمين المهاجرين الذين جاءوا معه، وقبله أو بعده، والأنصار الذين هم أهل المدينة أصلا، واليهود الذين كانوا عددًا من القبائل الموجودة بالمدينة أبرم معهم وثيقة، عهدًا، نحن نسميه دستور المدينة، والعلماء القدماء يسمونه صحيفة المدينة أو وثيقة المدينة.

دستور فيه سلطات الدولة، فيه أن محمدًا ﷺ هو رئيس الدولة، وفيه ألا يخرج أحد من المدينة إلا بإذن محمد ﷺ، وإذا حدث نزاع يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله، وأن اليهود ينفقون مع المسلمين ما داموا محاربين، فكان يوجد دستور مكون من (٤٧) مادة نشرته في كتابي[1]، وقبلي علماء كثيرون نشروه، لكن أكرمني الله بأن وقفت على تحقيق لجميع نصوص هذا الدستور في رسالة ماجستير أشرفت عليها الأستاذة الجليلة الشيخة الدكتورة عائشة عبد الرحمن، وأعدها باحث مغربي اسمه خليفة المحفوظي.

وكانت مهمة الباحث في هذه الرسالة فقط أن يوثق نصوص دستور المدينة، فاتضح أن النصوص كلها صحيحة طبقًا لمعايير علم الحديث.

(١) النظام السياسي للدولة الإسلامية، دار الشروق، ٢٠٠٨.

هذه الوثيقة أُبرمت ونُفذت لمدة ١٠ سنوات، فبعد وفاته ﷺ هل تُهدم الدولة؟! رفض الصحابة هدم هذه الدولة واستمروا فيها، والاستمرار هو الذي أتى بالخلافة.

وكلمة الخلافة كلمة من أيام الصحابة ليست كلمة نبوية أو قرآنية، طبعًا يوجد حديث: «تكون الخلافة بعدي ثلاثين سنة ثم يكون ملكًا عضوضًا»، هذا حديث موجود لكنه لا يشير إلى فكرة الخلافة السياسية، فالخلافة السياسية صنعها الصحابة.. صنعوها لكي تستمر الدولة الإسلامية التي أنشأها الرسول على المثال الذي أدارها به الرسول ﷺ، النشأة انتهت بوفاة الرسول ﷺ ولكن كنا نحتاج نموذجا نقتدي به، هذا النموذج هو الإدارة النبوية، والخلافة محاولة لأن يكون الحكم بعد النبي ﷺ امتدادًا لحكمه وأسلوبه ونهجه وسياسته... فكانت الخلافة.

الخلافة أحدثت أول شق بين المسلمين، الإمام أبو الحسن الأشعري له كتاب هائل مشهور بين الناس اسمه «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»، تجد بعض الناس يتفلسفون ويقولون «الإسلامويين» «المتأسلمون» بدلا من الإسلاميين، ويقولون إن الإسلامويين يريدون السيطرة على السلطة والحكم، وتقرأ كلاما كثيرًا في الجرائد، يعتبرون كلمة الإسلامية والإسلامي كلمة مستحدثة تستحق السخرية، بينما كلمة «مقالات الإسلاميين» كانت عنوان كتاب لأبى الحسن الأشعري في القرن الرابع الهجري، يقول في أول جملة في هذا الكتاب: «إن المسلمين اختلفوا بعد وفاة محمد ﷺ، خلافات كفّر بعضهم بسببها بعضًا، وسبّ بعضهم بعضًا».

أول خلاف وقع بينهم كان الخلاف في شأن الإمامة أو الخلافة، لأن المهاجرين قالوا إنهم أولى الناس بالرسول ﷺ، والأنصار قالوا نحن عصبة الرسول وأهله الذين آووه ونصروه، ونحن أهل المدينة، وأنتم معشر المهاجرين رهط منا، أي مجموعة منا، أنتم أتيتم ضيوفًا علينا.

ثم قام الحُباب بن المنذر، وهو صحابي جليل، كان له مشورة في غزوة بدر عظيمة، فقد قال للرسول ﷺ عن الموضع الذي عسكر فيه بجيشه: أمنزل أنزلكه الله أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال له الرسول: الحرب والرأي والمكيدة، فقال له: ليس هذا برأي، فقال الرسول ﷺ: ماذا نفعل؟ فأخبره بالنزول جنب المياه حتى إذا انهزمنا لا نعطش، وإذا هزمناهم إن شئنا سقيناهم وإن شئنا منعناهم، فعمل النبي ﷺ بمشورته. وقف هذا الرجل الذكي العبقري ليحل الخلاف في شأن خليفة رسول الله، فقال: منا أمير ومنكم أمير، يعني واحد للمهاجرين والثاني للأنصار. فقال أبو بكر هذا أول الوهن، وانتهت المسألة بخلافة أبى بكر.

لكن السياسة لا تستقر على حال وأنا كثيرًا ما أضحك عندما أسمع دولة عربية إسلامية تقول سياستنا الثابتة المستقرة. لا توجد سياسة ثابتة فالسياسة هي فعل الأصلح، الأصلح يجب أن يتغير اليوم عنه غدًا عنه أمس عنه في السنة القادمة، كيف تكون سياسة ثابتة مستقرة وهي كانت بالأمس شيء آخر.

تغيرات السياسة التي وقعت على المسلمين جعلت الخلاف يتفاقم بعد وفاة سيدنا عثمان رضي الله عنه، «علي» يقول: أنا بويعت فأنا الخليفة بعده، ومعاوية بن أبي سفيان يقول: بيعتك لا تصح حتى تسلِّمني قتلة عثمان، لأني وَلِيُّ الدم، فيقول علي: لا أستطيع أن أسلمك إياهم لابد أن تدخل في الطاعة أولا، فرفض معاوية الدخول في الطاعة، ووقعت الخلافات وحرب الجمل ثم واقعة صفين.

ثم استقر الأمر سنة ٤٠ هـ أو ٤١ هـ عندما تنازل الحسن بن علي لمعاوية عن الخلافة، وكان هذا تحقيقًا لنبوءة نبوية عجيبة، قال فيها الرسول ﷺ للحسن: «إن ابني هذا سيد، وسيجمع الله به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين»، وقد حدث، وسُمي العام الذي تنازل فيه الحسن عن الخلافة بعام «الجماعة»،

لأن الدولة الإسلامية أصبحت واحدة، من وقت حرب علي ومعاوية حتى سنة ٤٠ كان هناك دولة يقودها الخليفة الرابع الراشد علي بن أبي طالب ثم الخليفة الراشد الحسن بن علي، الذي أهمله التاريخ، عمر بن عبد العزيز هو الخليفة الراشد السادس، وليس الخامس، الخامس هو الحسن الذي حكم منذ استشهاد عليّ إلى أن تنازل لمعاوية، وهو خليفة راشد بلا شك..

- **هذه معلومة غير معروفة يا دكتور؟**

- تُعْرَفُ إذا حسبتَ الخلفاء الراشدين حسابًا صحيحًا، الراشدون: أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبى طالب ثم الحسن بن علي، ثم تأتي فترات المحن والفتن، إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز سادس الراشدين وليس خامسهم لأن خامسهم هو الحسن بن علي – رضي الله عنه –.

- **وكيف سقط اسم الخليفة الخامس كل هذه السنوات؟**

- التعصب ضد الشيعة أحيانًا، وإنكار بني أمية خلافته وقتها. لكن النقطة التي أريد أن أذكرها هي أن معاوية لم يدّع الخلافة قط في زمن سيدنا علي ولا في زمن الحسن بن علي، فمعاوية ظل أميرًا على الشام وما وراءه بقوة الجيش والعسكر والسلطة، كان معاوية أميرا، والخليفة كان علي ثم الحسن. لم يدّع معاوية الخلافة ولا أنه بويع بها إلا بعد تنازل الحسن بن علي.

وإذا كان الناس يقولون إن الصحابة افترقوا، وكان هناك خليفتان في زمن الصحابة، فهذا لم يقع. في زمن الصحابة لم يكن هناك إلا خليفة واحد دائما، حتى بعد تنازل الحسن بن علي كان هناك خليفة واحد هو معاوية بن أبي سفيان.

أما ثورة عبد الله بن الزبير وما سماه خلافة في مكة فهذه كانت ثورة محلية، ربما كان هو على الحق، أو ربما قلبي يقول إنه كان على حق، والمخالفون له على الخطأ لكن الواقع السياسي الإسلامي لا يعرف خليفتين في زمن الصحابة،

فلم يختلف معاوية مع عليٍّ على الخلافة ولا معاوية ادعى الخلافة قبل تنازل الحسن له، فهو أخذها بالتنازل والبيعة التالية له وليس بقوته هو، قوته جعلته حاكمًا للشام وما والاها مصر وغزة وأرض فلسطين لكنه لم يكن خليفة في هذا الوقت.

بعد ذهاب معاوية، ومجيء يزيد وما قام به من مظالم في المسلمين وما قام به من مقتلة عظيمة في كربلاء وفي المدينة المنورة وغيرها، بدأت الفُرْقة الإسلامية الأولى فبدأ الشيعة ينكرون خلافة الأمويين، ويقولون إن هؤلاء مغتصبون وليسوا خلفاء، وإن الإمامة لآل البيت لأن الإمامة منصوص عليها لسيدنا علي، وبعد سيدنا علي للأئمة الذين نص كل واحد منهم على من بعده إلى أن وصلنا للإمام الثاني عشر المهدي المنتظر محمد بن الحسن العسكري الغائب منذ الربع الأول من القرن الرابع الهجري.

وبدأ الخوارج، الذين ظهروا من وقت سيدنا علي،يكثرون وتتعدد فرقهم ويقيمون دولا.. أقاموا دولا في المغرب وأقاموا دولا في المشرق وأقاموا دولا في إفريقيا أيضًا، الناس يظنون أن الخوارج كانوا عصابات تحمل السيف، ولكنهم أقاموا دولا، كان لهم حكام وكان لهم نظرية متكاملة في الحكم.

أساس هذه النظرية أن العبرة ليست بالقرشية ولا بالنسب ولا بالسلطة إنما العبرة بانتخاب الناس انتخابا حرا، أقام الخوارج دولهم وأقام الشيعة إماراتهم الصغيرة التي حاربها الأمويون، وحاربها، بقسوة أشد، العباسيون، لأن العباسيين كانوا ينتمون إلى نفس الزعم، فهم يرون أن أحقيتهم بالخلافة سببها أنهم من آل بيت رسول الله ﷺ وكان الشيعة يرون أنهم من أبناء فاطمة فهم أحق لهذا وأن العباسيين أولاد عم رسول الله ﷺ وأن الأقرب للرسول ﷺ هم أحفاده، فكانت الحرب من الدولة العباسية على الإمامية الإثني عشرية حربا لا هوادة فيها، وقع الخلاف المتفاقم والمتسع، الذي كانت تظهر له كل يوم نبتة جديدة.. أدى هذا إلى الانفصام بين الشعوب والحكام، وأن

تصبح الخلافة مجرد سلطة مركزية، وأحيانًا كثيرة رمزية، وتعيش الشعوب الإسلامية في ظل سلطة أخرى حقيقية وإن كانت معنوية غير مادية.

ذلك أن الخلافة كانت تحكم العاصمة وما حولها وتدير شئونها، وتعين قواد الجند، لكن شئون الناس كان يديرها، على الحقيقة، العلماء. الأمة كان يفتي لها العلماء، الحلال والحرام كان يحدده العلماء، ما تجب فيه الزكاة، ما يعمل في الأموال وما لا يعمل فيها، كان يحدده العلماء، سَقْيُ الأنهار، وهو تنظيم الري، يحدده الفقه والعلماء. فالسلطة السياسية كانت سلطة قابضة تحفظ الدولة وتصون حدودها تحارب أعداءها وتغزو أحيانًا لمواجهة أعداء الإسلام الذين اعتدوا على حدود الدولة الإسلامية؛ لكن العمل الإسلامي اليومي كان يقوم به العلماء ومفسرو القرآن وعلماء الحديث، والفقهاء في الأصول والفروع فقهاء الحلال والحرام، وهذا ما ندعو له اليوم، وهو ما كان يدعو له الدكتور الشاوي (رحمة الله عليه) فكان يقول إنه يجب فصل الإمامة السياسية عن الإمامة الدينية فالإمامة الدينية هي للعلماء.

لم يكن الحاكم يفتي، ولا الوزير المعين في وزارة، ولو كانت وزارة الأوقاف، هذا رجل إداري وظيفته إدارة شئون الدولة السياسية، والعالم رجل علم يقرر ما هو جائز وما هو ممنوع شرعًا، والأمة تتبع الجائز والممنوع شرعا ولا تخالف الحاكم إذا لم يخالف هو الجائز والممنوع شرعا، أما إذا خالف: فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

فهذه الصلة بين الخلافة والمذاهب من جهة، والخلافة واتحاد العلماء المسلمين من جهة، فنحن نقدم المرجعية، التي دعا إليها الدكتور الشاوي، والتي كانت قائمة على مدار التاريخ مرجعية إسلامية علمية، لم يقرب منها حاكم، طبعا أحمد بن حنبل سجن وعذب، وأبو حنيفة سجن لأنه لم يتول القضاء، ومالك ضرب ستين سوطا حتى كسر ذراعه الأيسر لأنه رفض أن يفتي بما يريده

الحكام، وقد أركبه ضاربوه على حمار مقلوبًا، وجهه إلى ظهر الحمار، وهذا كان أسلوب التعريف بشاهد الزور وقتها، تشهيرا به، فكان يُنَادِي: «أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس، أحدث عن نافع عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه ليس على مكره يمين»، لأن الخلفاء كانوا يأخذون على الناس أيمانًا إنه يطلق زوجته ويعتق رقيقه ويخرج من أمواله إذا نكث البيعة للخليفة الآتي، ابنه أو أخوه أو من يريد أن يوليه بعده، فأيمان البيعة هذه.. كانت تضع الناس في حرج...

- **كانت أيمان على المستقبل؟**

- أيمان على المستقبل فمالك أفتى الناس أن هذه الأيمان لا قيمة لها قال لهم ليس على المكره يمين وهو حديث صحيح، فلما ضربوه كان يقول للناس «أيها الناس كذا وكذا...» فأرسل الوالي رسالة سريعا إلى الخليفة يقول له أنت أمرتني بالتشهير بمالك والآن أصبحت فتواه في المدينة على كل لسان لأنه يقول الفتوى في الشارع، فقال له توقف واعتذر إليه وأرضه...

فكل هؤلاء العلماء أوذوا في سبيل انحيازهم إلى جانب الأمة ضد الحكام الظلمة، في سبيل موقفهم من الحق، الذي يمليه عليهم الكتاب والسنة، ضد الباطل الذي يحاول بعض ذوي الجاه والنفوذ والسلطان أن يفرضوه على الأمة.

هذا هو موقف الخلافة وهذا هو دور العلماء.

- **حضرتك فاجأتنا بأن الحسن بن علي هو الخليفة الخامس وأن معاوية بن أبي سفيان لم يأخذ الخلافة غصبًا وإنما تسلمها من الحسن بن علي، هل توجد إضاءة عن كيفية تسلم الخليفة الخامس موقع الخلافة؟**

- ما أسميته مفاجأة هو القول الصحيح، الخليفة الخامس هو الحسن بن علي، ومعاوية لم يغتصب منه الخلافة، معاوية بُويع بها بعد أن تنازل له عنها الحسن

بن علي- رضي الله عنه - سيدنا الحسن كيف تولى الخلافة؟ سيدنا الحسن أبوه سيدنا علي رضي الله عنه، طُعن وهو في المحراب يصلي بالناس الفجر، طعنه عبد الرحمن بن ملجم الخارجي، وكانوا ثلاثة متآمرين، منهم واحد خرج ليقتل معاوية، والثاني لقتل عمرو بن العاص، وثالث ليقتل عليًا رضي الله عنه، معاوية وعمرو نجيا من القتل لأسباب مختلفة، أحدهما مرض فلم يستطع النزول للصلاة، والآخر أمّ الصلاة شخص آخر غيره، أما عليّ فكان يصلي في المحراب وطعنه عبد الرحمن بن ملجم. جاءه أصحابه وهو ينزف دمًا على فراش موته، وقالوا له: يا أمير المؤمنين، نولي بعدك الحسن ـ وهو ابنه ـ فقال كلمة لو كتبت بالذهب ما اسْتَكْثَرْتُهُ عليها، في وقتها ومن قائلها رضي الله عنه، قال: «لا آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر».

لماذا لا يأمرهم ولا ينهاهم؟ لا يأمرهم لأن سيدنا الحسن ليس الشخص الوحيد المؤهل للخلافة، لو كان هو الوحيد المؤهل لأمرهم به لأن عليًا رضي الله عنه لا يترك الأمة هملا، ولا يتركها دون أن يمارس واجبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يتركها على درجة أقل من درجة الكمال الذي يريده لها، قال لا آمركم، لأنه ليس الوحيد الصالح للخلافة توجد مجموعة كبيرة مؤهلة للخلافة، ولا أنهاكم، لأن الحسن لا يوجد به عيب أو نقص، وليس كونه ابنًا لعلي يمنعه من تولي الخلافة، لذلك قال «أنتم أبصر». أنتم تنظرون لشئون مستقبلكم، وهذا يذكرك بأيمان البيعة، كيف تأخذ بيعة للمستقبل، وتتحمل مسئوليتها ووزرها ما شأنك؟!هل ينقصك حمل أوزار المستقبل أيضًا؟!

الناس الذين يخططون لغد وبعد غد والسنة القادمة والقرن القادم هؤلاء مساكين يحملون أنفسهم ما لا تستطيع احتماله، لا أمام الله، ولا أمام الناس ولا أمام التاريخ، علي - رضي الله عنه -، بنور الصحبة النبوية وبنور البيت النبوي، قال لهم هذه الكلمة، فماذا فعلوا؟ انتخبوا الحسن وبايعوه كما بويع علي وكما بويع عثمان وكما بويع عمر وكما بويع أبو بكر.

الحسن انتخب ببيعة صحيحة من المسلمين الذين كانوا في ظل خلافة أبيه – رضي الله عنه – وبعد أن تبين له أن الأمور لا تسير بشكل جيد، المسلمون منقسمون، الأمة فرقتان لكن لم يكن هناك حروب، والخوارج ظهروا وبدأوا يتوسعون، والأمة الإسلامية التي يعرف ويحفظ أنها أمة واحدة، ويذكر من نبوءة جده محمد ﷺ أنه هو من سيجمع الله به طائفتين عظيمتين من المسلمين، كل هذا وضعه الحسن – رضي الله عنه– أمامه فتنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان وحقق تلك النبوءة النبوية.

هذه مسألة يجب أن يعرفها الشباب والفتيان، وأن يعرفها الحكام لئلا تأخذهم الأوهام فيظنون أنهم خالدون هم وأبناؤهم وأحفادهم وأحفاد أحفادهم.. لا أحد خالد، وإلا كان هؤلاء الصحابة خلدوا، لم يخلد أحد، أو كان محمد ﷺ خلد، لكن لم يخلد قال له الله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٤].

فمن يظن أنه عندما يولي ابنه سيخلد فهو مخطئ فعليٌ قال لا آمركم ولا أنهاكم. من يظن أنه ينتظر حفيده وأنه عندما يوليه سيخلد مخطئ. فالصحابة لم يفعلوا ذلك، والعقلاء لا يفعلون ذلك، العاقل يخرج من الدنيا كفافًا لا له ولا عليه.

- **ما الفارق بين الإمامة السياسية والإمامة الدينية؟**

– فكرة الفارق بين الإمامتين السياسية والدينية فكرة ضرورية بعد عهد الصحابة، فالصحابة كما يقول عنهم الإمام ابن حزم، كلهم إمام عالم تقي أفتى أهله ومن حوله من الناس ولا ريب، لأنهم شربوا من معين النبوة مباشرة، تعلموا القرآن الكريم من الرسول، شاهدوا التنزيل وهو يأتي إليه، وشهدوا المشاهد مع الرسول ﷺ، جلسوا حوله، وإلى جواره، ومن أمامه، ومن خلفه في كل المواقع فتعلموا منه علمًا لا يستطيع أحد أن يدعي أن له عُشر معشاره بعد جيل الصحابة، هؤلاء لا يمكن أن نفصل في عهدهم بين

الفقه والسياسة، الصحابي نفسه فقيه ومحدث وسياسي، وهو حاكم وإداري، ومع ذلك كان في جيلهم من لا يحسنون إلا عملًا واحدًا.

عندما أرسل عمر قائدين عظيمين إلى سعد بن أبي وقاص قال له: إني مرسل إليك بفلان وفلان شاورهما في أمر حربك، ولا تولهما من الأمر شيئًا فإن كل صانع هو أعلم بصنعته. هنا نرى أنه من عصر سيدنا عمر بدأ التفريق بين أصحاب الصنائع المختلفة من كان منهم قادرًا على الحرب صَنْعَتُه الحرب، من كان قادرًا على الإدارة يكون واليا وحاكما ورئيس مؤسسة ورئيس إدارة عند الخليفة وغيره، من كان قادرا على التعليم والفقه يجلس في المسجد يعلم وهنا بدأت تتمايز الاختصاصات في عهد سيدنا عمر بن الخطاب بعد اتساع الدولة.

أما مع ما نحن فيه الآن فلا نستطيع أن نقول إن علماءنا المبجلين، سواء أكانوا من العلماء الرسميين أم من العلماء غير الرسميين، وهؤلاء فيهم فضلاء وهؤلاء فيهم فضلاء، وهؤلاء فيهم مساكين وهؤلاء فيهم مساكين. لا نستطيع أن نقول إن علماءنا من أي فئة كانوا يصلحون للحكم، أنا لا أستطيع قطعا أن أجد عالمًا صالحًا للحكم في بلاد المسلمين، أعني المسلمين السنة على الأقل يوجد علماء يصلحون للإفتاء، يصلحون للكلام في التفسير، ينقلون بعض الروايات، أحيانًا يخطئون، أحيانًا يصيبون، شأنهم شأن كل البشر، لكن أن يصلح عالم من العلماء الذين صَنْعَتُهم العلم الشرعي للحكم هذا لا أجده في واقعنا اليوم.

في الوقت نفسه هل يصلح حاكم من حكامنا للإفتاء والاجتهاد؟! كان هذا في عهد الصحابة، وهكذا وصف رجال الفكر السياسي الأولين في الإسلام: الماوردي وأبو يعلى والجويني وغيرهم، وصفوا الحاكم بأنه: هو المجتهد الذي يقطع اجتهاده اجتهاد المجتهدين، يعني حاكم اجتهد في مسألة من المسائل، والمجتهدون في عصره لهم رأي مخالف، هو يستطيع أن يأمر القاضي بأن يتبع

مذهبه هو، ويترك مذهب الآخرين، اجتهاده يَجُبُّ اجتهاد الآخرين، هو يُلْزِمُ القاضي باجتهاده والآخرون لا يلزمون القاضي باجتهادهم، بالله عليك هل يوجد حاكم في الأمة الإسلامية، من أولها لآخرها الآن، يستطيع أن يجتهد في الأحكام الشرعية، ونقول إن اجتهاده يلزم القضاة؟ أو اجتهاده يلزم المفتين؟ لا يوجد.

لذلك يجب أن نعطي كل ذي حق حقه، ونعهد لكل ذي صَنْعة بصَنْعته، ونمكِّنَ كل إنسان من الحقل الذي إذا زرعه أنتج فيه ثمرًا صالحًا. فأهل العلم لهم هذا الجانب، لهم الإمامة الفقهية والدينية والعلمية والثقافية، والحكام لهم الإمامة السياسية في المفاوضات والحروب ورصف الطرق وجمع الضرائب ووضعها في مواضعها، وليس جمعها ووضعها في مواضع غير جائزة لا قانونا ولا شرعا ولا نعرف أين ذهبت بعد ذلك، وحماية الثغور وتجهيز الجيوش، ومقاومة المحتل والغاصب والمعتدي، هذه صنعة الحكام.

هذا الحاكم لا يستطيع أن يعمل إلا إذا علم الحلال والحرام، فيدله عليه أصحاب الإمامة الدينية. وإذا عرف الحاكم الحلال والحرام وخالفه فعلى أصحاب الإمامة الدينية أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وإذا تمادى في غيه مثلما قال أحد الحكام لأحد العلماء: «أعلى ما في خيلكم اركبوه» ثم سجنه بعد ذلك، فماذا يفعلون؟ يستطيعون أن يقولوا للناس هذا الحاكم قد فقد الشروط التي تؤهله فبكّروا بالانتخابات وولوا حاكمًا جديدًا، مثلما يحدث في أوربا، لماذا بلاد الإسلام وحدها لا يوجد بها انتخابات مبكرة ولا متأخرة، ولا يوجد بها انتخابات أصلا؟! لأن حكام بلاد المسلمين مخلدون لا يتركون الحكم، ولأن أهل الدين والإمامة الدينية لا يؤدون واجبهم.

فنحن نقول الفصل بين الإمامتين، لنحرر الدين من ربقة السياسة، ونحرر السياسة من أن تكون أسيرة أو مرهونة لدى علماء هي صَنَعَتْهم أو اختارتهم،

لكي تكون السياسة موجهة بالعلماء الأحرار الذين يرون الحق حقًا فيأمرون به، ويرون الباطل باطلًا فينهون عنه، وهذا هو معنى الفصل بين الدين والسياسة.

طبعا أنت ستعتبر أنني أتكلم مثل العلمانيين، لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين، ولكنني ـ في الواقع ـ أقول: **دين يهدي السياسة وسياسة تهتدي بالدين**، فالسياسة لا يجوز أن تأمر بغير ما أمر الله به، أو تنهى عن غير ما نهى الله عنه، وإلا، تكون سياسة باطلة.

والإمام ابن قيم الجوزية له كلمة جميلة جدًّا، قال: «السياسة العادلة جزء من الشرع عرفها من عرفها وجهلها من جهلها»، فالحاكم الذي لا يعرف الشرع يجب أن يهتدي بأقوال العلماء، والعلماء الذين يعرفون الشرع يجب ألا يقصروا في حق الحكام السياسيين، وهذا هو ما أقصده بالفصل بين الإمامة السياسية والإمامة الدينية، وهذه هي نظرية الدكتور توفيق الشاوي (رحمه الله).

أنا لا أنسى أنني تجادلت معه عدة مرات في ذلك، كان يقول لي: «بكرة تكبر وتفهم»، ولَمَا وجدت الأمر على ما نحن فيه الآن اقتنعت أن الفصل بين القيادتين واجب، ولابد من إعطاء كل من الفئتين سلطانها الكامل في الموضوع الذي يحسنه أهلها. السياسيون يهتدون بما يقوله علماء الدين، وعلماء الأمة، من المثقفين الذين يحملون هويتها ورسالتها هذا هو الكلام الصحيح.

- **في كتاب حضرتك «النظام السياسي للدولة الإسلامية»، ما هي رؤيتك أو مشروعك، وأين وصل تصورك للنظام السياسي للدولة الإسلامية؟**

– بداية.. كلمة مشروع كبيرة جدًّا عليّ، ما أنا إلا طالب علم صغير جدًّا، وكلما ازددت علمًا كلما ازددت صغرًا، لأنه كلما ازددتَ علما كلما شعرتَ أنه قد فاتَتْكَ أشياء، أنا ليس عندي مشروع أنا أعمل عملي وما أصيب فيه أحمد الله وما أخطئ إن شاء الله ربنا يسامحني فيه.

أنا في الأصل لم أكن أنوي الاهتمام بالمسألة السياسية، لكن ما تعرضت له الأمة المصرية بالذات بعد سنة ١٩٥٢ ولاسيما بعد ١٩٦٥ من اضطهادات عنيفة.. طبعا من ١٩٥٤ إلى ١٩٦٥ كان هناك اضطهاد للكل الإخوان والشيوعيين وكل خلق الله، جعلني أتوقف وأتساءل: أين هذا الذي يجري من المشروع أو الفكرة الإسلامية عن الدولة؟ ثم نسيت هذا الأمر إلى أن كُلفت بالتدريس في جامعة أحمدو وبللو في نيجيريا سنة ١٩٧٢ بعد حصولي على الدكتوراه من جامعة لندن.

وعندما ذهبت إلى هناك وجدت أحد المناهج المطلوب مني أن أدرسها النظام السياسي في الإسلام، وبمجرد سماعي للعنوان، عدت بذاكرتي إلى تفكيري القديم بعلاقة السياسة بالإسلام، وعلاقة الدولة بالإسلام، وعلاقة الحكام بالإسلام، وبدأت أعيد درس هذا المشروع وهو ما أنتج كتابًا صغيرًا بعنوان «في النظام السياسي للدولة الإسلامية»، كان عبارة عن مذكرات أدرسها للطلاب، ثم تحول إلى كتاب كبير نحو ٤٠٠ صفحة، طبع ٩ طبعات، وتم تدريسه في ١٥ جامعة، ودرَّسه وأحال طلابه إليه، في جامعة القاهرة، الدكتور حامد ربيع ـ رحمه الله ـ دون أن أعرفه أو ألقاه. درسه سنين وبعض تلامذته عرفوني من خلال هذا الكتاب.

خلاصة ما في هذا الكتاب أمور، أهمها أن الإسلام لا يمكن أن ينفصل عن حياة الناس، وجزء من حياة الناس هو الحياة السياسية.

ولكن عدم انفصال الإسلام عن حياة الناس ليس معناه أنه أتى لهم بتفاصيل ما يفعلون في هذه الحياة، كيف يعيّنون الحاكم؟ وما هي المدة؟ وكيف ينتخبون؟ هذه تفاصيل لم يهتم بها الإسلام ولم يعنَ بها، إذن فبماذا عُني؟ عني بقيم.

عني بأن تكون جميع الأمور في الدولة تدار بالشورى، وعندما يصف القرآن الكريم المسلمين بأنهم ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ في سياق الصلاة والزكاة والإنفاق والصوم، فإن هذا ليس عبثا، وإنما يدل على أن الشورى ملازمة لطبيعة المسلمين فهذه القيمة السياسية الأولى.

يأمرهم بالحرية بأن يكون الناس أحرارا لا يطغى عليهم طاغية، وإذا طغى عليهم أحد عزلوه وخرجوا عليه وحاربوه.

كما يأمرهم أن تكون المساواة هي أساس الحياة كلها،أساس العلاقة كلها، والرسول ﷺ عندما طلب منه أسامة بن زيد استثناء امرأة ارتكبت جريمة من تطبيق العقوبة عليها، لم يجبه إلى ذلك، بل نجده يقول لأسامة، وهو حِب رسول الله، وكان ابنه الذي رباه إلى أن أبطل الإسلام التبني، ونُسِبَ أسامة لأبيه، يقول له: «ويحك يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها». فإذن القاعدة هي قاعدة المساواة.

الإسلام يقول إن الحاكم يُسأل عما يفعل، من أين أتت هذه القاعدة؟ فِعْلُ رسول الله ﷺ قبل وفاته ﷺ صَعِدَ المنبر وقال: أيها الناس من كنت قد أخذت منه مالاً فهذا مالي، وأظهر كيس نقود به ٣ دراهم، فليأخذ منه؛ ومن كنت قد ضربت له ظهرا فهذا ظهري فليأخذ منه ويرفع ملابسه ويكشف ظهره؛ ومن كنت نلت من عرضه أو أهنته فهذا عرضي فلينل منه أو يقتد منه. فالرسول ﷺ أقاد من نفسه يعني عَرَضَ نفسه للقصاص، والصحابة أيضا فعلوا ذلك: عمر عرض نفسه للقصاص.

فقد كان سيدنا عمر – رضي الله عنه – قد نظم الطواف وحدد وقتًا للنساء وباقي الوقت للرجال، ويرى بعض الناس أن هذا ابتداع، ولكن تنظيم من سيدنا عمر رأى فيه المصلحة وقد رجع عنه الصحابة بعد وفاته، وحدث أن طاف رجل في الوقت المخصص للنساء فضربه سيدنا عمر، ثم قال له: «ألم تسمع عزمتي (أي قراري)؟ ألا يطوف الرجال مع النساء»، فقال الرجل: «والله ما سمعت لك عزمة»، فقال له عمر: «دونك فاقتص مني»، فقال الرجل: «لا، أتضربني في ملأ واقتص منك في خلوة؟، غدا في الجمع كما ضربتني أضربك»، وفي اليوم التالي جاء الرجل وأعطاه سيدنا عمر الدِّرةَ

فقال له الرجل: «والله ما كنت لأقتص من أمير المؤمنين، ولكني أردت أن يعلم الناس أن ليس لأمير المؤمنين عليهم فضل».

هذه هي القيم الشورى والحرية والعدالة والمساواة ومساءلة الحاكمين عن أفعالهم المخالفة للقانون يعني الشريعة.

هذه المبادئ التي جاء بها الإسلام تتبعها بطريق الخلافة خير.. تتبعها بطريق الملكية الدستورية خير.. تنظمها بطريق رئاسة الجمهورية المحدودة المدة، التي لا تتجدد بعد مدتين، خير، أما رئاسة الجمهورية مدى الحياة، حتى يأتيه الأجل المحتوم، فهذه خطأ ولا تجوز في الدنيا لا في الشرع ولا في القانون، ولا في أي فكر مستقيم غير سقيم. هذه نظم مصرية وعربية وموجودة في بلاد العرب والمسلمين وليس في أي بلاد أخرى. تتبع قيم الإسلام بحاكم ينتخب سنتين، أربع، ست كما تشاء، فأي تنظيم يراه الناس صالحًا لحكم حياتهم فهو تنظيم مقبول إسلاميًا بشرط أن يحمي القيم الإسلامية، ويطبق الأحكام التفصيلية.

هذه خلاصة فكرة النظام السياسي للدولة الإسلامية. هو ليس نظاما جامدًا، ولا هيكلا ولا تفاصيل ولا مُددًا، مثلا الفقهاء القدامى عندهم مصطلح أهل الحل والعقد، الذين أسميهم أنا أهل الشورى، اختلفوا من هم أهل الحل والعقد، ناس قالوا الأمراء، وناس قالوا العلماء، ومنهم من قال العلماء والأمراء، لأنهم علية القوم ورءوس الأمة، فهل يجب أن نجد أهل عقد وحل في كل زمان، عندنا مثلًا مجلس الشعب ٤٤٤ عضوًا نصفهم منتخب بطريقة الله أعلم بها والنصف الآخر مفروض علينا يجب أن يكون نصفهم عمال وفلاحين.

لكن أنا أستطيع أن أنتخب أهل الشورى بالطريقة التي أراها مناسبة ما دامت محققة للمصالح، ضامنة للقيم، مؤدية إلى تطبيق الأحكام الجزئية، ماعدا ذلك تفاصيل. صحيح هناك في الكتب القديمة كلام كثير.... كلها تفاصيل حدثت

في زمانهم فناسبته، وليست تفاصيل مطلوب حدوثها مستقبلا، تفاصيل يصفون بها ما كان حاصلا في عهودهم، ونفع في وقتهم، وليس بالضرورة أن ينفع في وقتنا.

والأصل هو حفظ القيم الكلية وتطبيق النصوص الجزئية الواردة في القرآن والسنة وهي محدودة العدد جدًّا، والباقي من آلاف التفاصيل هو محل الاجتهاد الذي يبحث عن المصلحة ويتغير إذا تغيرت.

- **وبالتالي قضية الخلافة ليست بها حتمية شرعية؟**

- لا توجد حتمية شرعية، لا في الخلافة ولا في غيرها من نظم الحكم، الخلافة نظام ابتكره الصحابة لكي يوائموا بين الظرف بعد وفاة الرسول ﷺ وبين وجوب استمرار الدولة، ونجحوا. بعد ذلك نختار النظام الذي يحقق مصالحنا، ويجعل دولتنا ناجحة كما كانت دولتهم ناجحة، أيا ما كان هذا النظام وأيًّا ما كانت تسميته.

الحلقة الثانية

- مشروع الإخوان المسلمين يقوم في ست خطوات لكنهم حتى الآن لم يتجاوزوا الخطوة الأولى.
- إن كُتب حسن البنا أفضل بكثير من الكتب المعاصرة التي تدرس حاليًا في مناهج الإخوان، على حسب ما نعرف ونسمع.
- ولاية الفقيه نظرية قديمة لعالم شيعي ظهر قبل خوميني بنحو قرنين من الزمان. ثم جاء خوميني فطوّر نظرية ولاية الفقيه، من الولاية الخاصة إلى الولاية على الأمة.
- حياة خوميني تمثل مرحلتين.. مرحلة الفقيه وكتب فيها عن صنمي قريش وكان ينقل دون تمحيص سبّ الصحابة، ومرحلة السياسي وهي تختلف جذريًا عن المرحلة الأولى.
- بعد ألف عام من غياب صلاة الجماعة وصلاة الجمعة أعادها خوميني، وأمر أن يصلي المسلمون الشيعة في الحج مع أئمة الحرمين.
- الغرب هو من يثير الفتن داخل الإسلام.. لهدم السنة والشيعة معًا.
- الذين يدعون الانتماء إلى الإسلام ليسوا كلهم في الحقيقة منتمين إليه.. أغلبهم عند التطبيق يتضح أنه منتمٍ لمصلحته ويبحث عن مجده، والإسلام وسيلته لذلك.

تحدثنا في الحلقة السابقة عن كتابك «في النظام السياسي للدولة الإسلامية»، بالنسبة للتطبيقات المعاصرة التي أصبحت خريطة أشبه بـ«مولد» غاب عنه صاحبه، كالإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية والجهاد وما بعد الجهاد القاعدة وما تشعب عنها، والنظام السياسي الإسلامي في إيران والسودان، وحزب الله في لبنان، وحركة حماس في غزة، خريطة لم تعد من جاكرتا للدار البيضاء، وإنما من يمين جاكرتا إلى يسار الدار البيضاء.

- **كيف تفك لنا ألغاز هذه الخريطة دكتور محمد سليم العوَّا؟**

- أولا أشكرك إنك سألت سؤالا بهذه السعة وهذا الشمول أنت في حاجة إلى سنوات لكي تفك ألغازه، لكن يبقى وجود معالم ظاهرة للخلط، الذي سميته «المولد» أو هذا الاتساع في التيارات الفكرية الإسلامية، وهو ليس «مولد» غاب عنه صاحبه وإنما هو «مولد» إيجابي وليس سلبيًا، فأنت بدأت من الأقدم وهم الإخوان المسلمين وانتهيت بالأحدث تنظيم القاعدة وحزب الله.

الواقع أن لكل مجموعة ذكرت اسمها مشروعا مختلفا، لا يوجد اثنان منهما لهما المشروع نفسه، الشعار واحد وهو الشعار الإسلامي، شعار الدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية، والانتماء إلى النموذج الإسلامي النبوي المحمدي والراشدي، هو شعار مكرر عند كل هؤلاء جميعًا، لكن المشروع الذي يمارسه ويقوم به ويسعى إلى تطبيقه، كل فريق من هؤلاء، مختلف في تفاصيل كثيرة عن المشروعات التي ينتمي إليها الآخرون.

لو بدأنا بمشروع الإخوان المسلمين باعتبارهم الأقدم في كل ما ذكرت، فإن مشروعهم بدأ في سنة ١٩٢٨ وتبلور في الثلاثينيات، عندما قال حسن البنا – رحمة الله عليه – «الفرد المسلم فالأسرة المسلمة فالجماعة المسلمة فالدولة

المسلمة فالأمة المسلمة فالعالم المسلم كله»، وهذا المشروع بالمراحل الست التي بدأ بها هي مراحل جيدة جدًّا، لكن تطبيق هذا المشروع لا يزال حتى الآن ينجح في عدد من الأفراد «مئات الآلاف.. عشرات الآلاف.. ملايين»، لكنه لم يَخْطُ الخطوة التالية، التي أراد حسن البنا أن تكون الخطوة الثانية في سلم مشروعه السياسي الإسلامي، إذا صح التعبير، وعدم النجاح في الخطوة الثانية أدى إلى تأخير الخطوة الثالثة والرابعة وبالتالي تأخير كل الخطوات.

وهذه هي أقدم وأوسع جماعة إسلامية وأكثرها انتشارًا وهي الجماعة الإسلامية الوحيدة، التي لديها أتباع في كل أنحاء العالم، والناس يؤمنون بفكرها، لأن الفكر الذي عبر به حسن البنا فكر إسلامي حقيقي جمع كل الأوعية الإسلامية في إناء واحد، حسن البنا عندما وصف حركته وصفها بأنها: «دعوة سلفية وحقيقة صوفية وشركة تجارية ومؤسسة تربوية وناد رياضي وجمعية كشفية وتوجه جهادي»، إذًا جمع كل صنوف العاملين في سبيل النهضة، من أتباع الحركة الإسلامية، في بوتقة واحدة وإناء واحد، فكل واحد سوف يجد في الإخوان المسلمين لنفسه جزءًا.

لكن «الإخوان» على بعضها كما رسم خريطتها حسن البنا، عندما عبر عنها في رسالة المؤتمر الخامس للإخوان المسلمين، قال فيما معناه إن طريقكم هذا مرسومة خطواته، معروفة مراحله، محددة سنواته، فمن أراد أن يمشى في هذا الطريق فهو منا، ومن أراد أن يساندنا ويدعو لنا ويقف إلى جوارنا فهو حبيبنا ولكنه ليس من هذا الفريق، فعندما رسم خطة العمل رسمها محددة جدًّا، ثم قال أما غير هؤلاء الإخوان، الذين يريدون الجهاد في سبيل الله والاستشهاد، فلهم دروس ومحاضرات وعظات وكتب ورسائل، لكن أنتم لكم تربية خاصة. وهذه التربية الخاصة لا تزال قائمة في الأفراد حتى الآن، كما صنعها حسن البنا نفسه، طبعًا مع وجود بعض التغيرات، فكتب حسن البنا تم تأخيرها في التربية الإخوانية إلى كتب أخرى لبعض الناس المعاصرين

هذه الكتب لها وعليها، ولا يوجد أحد معصوم، لكن لا شك – في نظري – أن كتب حسن البنا أفضل من كثير من الكتب المعاصرة التي تدرس حاليًا في مناهج الإخوان على حسب ما نعرف ونسمع.

ففكرة السلسلة التي تبدأ بالفرد وتنتهي بالمجتمع العالمي المسلم فكرة لم تتحقق حتى الآن، ولم تخطُ الخطوة الثانية، وإن خَطَتها يكون في نطاق ضيق جدًّا ومحدود جدًّا، لكن هذا يقابله أنها جماعة ضخمة جدًّا وكبيرة جدًّا ومنتشرة جدًّا، وجميع الحكومات تقف لها بالمرصاد خائفة منها جدًّا، مع أنها لا تخيف في قليل ولا كثير.. لكن الحكومات لها منطق غير منطق المشتغلين بالورقة والقلم، أو كما يقول المستشار طارق البشري المشتغلين بالقراءة والكتابة.

المهمة الخطيرة التي قامت بها جماعة الإخوان المسلمين هي المهمة المسماة بمهمة الانتشار في العالم، التي جعلت هذا الفكر يصل إلى كل أنحاء الأرض. وهذا يعطي قوة هائلة للإخوان المسلمين؛ لأنك لا تنزل بلدًا إلا وتجد فيه إخوان مسلمين، لكنه يضع عبئًا كبيرًا عليهم في البلاد التي لهم فيها وزن كبير، مثل مصر وسوريا والأردن، لأنهم يدفعون ثمنه معتقلات وسجون وقضايا وما إلى ذلك؛ لأنهم بتنظيمهم وعملهم السياسي يخيفون الأنظمة القائمة في هذه البلاد. هذا الصراع أدى بالإخوان المسلمين إلى عدم تمكنهم من تحقيق أهدافهم، بعد الهدف الأول لم يستطيعوا أن يحققوا شيئًا تقريبًا إلا في أضيق نطاق.

لو انتقلت من الإخوان إلى الجماعات الإسلامية التي لم تمارس السياسة، وهي مهمة جدًّا في الممارسة السياسية؛ لأن الجماعة الإسلامية التي لم تمارس السياسة هي المحضن الطبيعي لمن سوف يمارس السياسة بعد ذلك، فمثلا في مصر هناك جماعة «أنصار السنة المحمدية» وعندنا من قبلها «الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية» وهما جمعيتان سلفيتان

وأيضا «العشيرة المحمدية»، وهي طريقة ذات منهج صوفي أسسها رائدها الأستاذ محمد زكي إبراهيم - رحمة الله عليه -، ونمَّاها ورعاها من بعده تلامذته. وكل هؤلاء ربَّوا كثيرين إما تربية صوفية، وإما تربية سلفية، تربية هائلة، وعالية المستوى الديني، وبالتالي كانوا هم المحضن الطبيعي للدخول في السياسة الإسلامية أو في العمل السياسي الإسلامي، الفصل والفرق بين هؤلاء وأولئك يحتاج إلى معرفة دقيقة بكل تيار وبمنهجه في العمل.

إذا انتقلنا لما ظهر مؤخرًا من الأنظمة السياسية في إيران والسودان، النظام السياسي في إيران له خصوصية، لأنه نظام قائم على المذهب الشيعي الجعفري، وقائم على نظرية طوَّرها آية الله خميني، رغم أن كثيرًا من الناس يعتقد أن ولاية الفقيه من اختراع خميني، وهذا ليس صحيحًا. ولاية الفقيه نظرية قديمة جدًّا في الفكر الشيعي لعالم ظهر قبل خميني بنحو قرنين من الزمان، اسمه الملا أحمد النراقي كتب عن ولاية الفقيه في الشئون الخاصة، بمعنى الولاية على الأيتام ومن لا وليَّ لهم من الناس.

نحن عندنا يقوم بهذا المجلس الحسبي أو النيابة الحسبية أي السلطة التنفيذية، لكن الشيعة رفضوا أن السلطة التنفيذية تمس أموال اليتامى ورءوا أن تبقى عند الفقيه العادل الذي يؤْمَنُ على هذه الأموال ويُضْمَنُ أنه يؤديها إليهم عند بلغوهم السن التي تعرف بسن الرشد، وكذلك المرأة التي ليس لها وليٌّ، الفقيه العادل يكون وليها ويزوجها. في الفقه السني قاعدة قديمة للإمام أحمد بن حنبل قال: «السلطان ولي من لا ولي له» فسألوه «أسلطان هذا الزمان؟» قال «أقلت لكم سلطان هذا الزمان أنا أقول السلطان..»! يعني الحاكم المستوفي للشروط، وكون سلطان هذا الزمان فيه ظلم وجور وخروج عن الشريعة هذا لا شأن للإمام أحمد به.

- **مائتي سنة قبل خميني؟؟**

- نعم قبل خميني.. سماها النراقي الولاية الخاصة، أي على أموال الأيتام والقصر وأحوال الأرامل والأيم (النساء غير المتزوجات) وشرح نظريتها في كتابه (عوائد الأيام في مهمات أدلة الأحكام) وهو كتاب مهم في الفقه الشيعي.

خميني طور هذه الرؤية، وقال يا فقهاء المذهب الشيعي، أنتم اهتممتم بالولاية على أموال الأيتام والقصر والنساء والأرامل وتركتم ولاية الأمة، اهتممتم بالأشياء البسيطة، التي لو ضاعت لضاع شخص، وتركتم الشيء الذي لو ضاع لأضاع أمة الإسلام بأكملها، لذلك قال خميني عبارة خطيرة جدًّا في كتابه (الحكومة الإسلامية) قال:«هل كتب على الإسلام أن يخسر منذ الغيبة الصغرى، أي غيبة الإمام الثاني عشر، كل شيء؟! إن الاعتقاد بهذا الرأي أسوأ من الذهاب إلى أن الإسلام منسوخ» وجه رسالة للعلماء معناها: أنتم تقولون لا يوجد دولة ولا سياسة ولا حاكم يتولى الأمور لا يوجد أحد يقوم بهذا في الإسلام حتى ظهور الإمام الغائب، وبالتالي يكون الإسلام نُسِخ !! لذلك طوَّر نظرية ولاية الفقيه من الولاية الخاصة إلى الولاية العامة وهي الولاية على الأمة التي تثبت عنده للفقيه الجامع للشرائط.

- **دكتور هل يمكن أن تشرح لنا أكثر فكرة الإمام الغائب وولاية الفقيه في المذهب الشيعي؟**

- المذهب الشيعي الاثنا عشري يقول إن هناك اثني عشر إماما كل منهم له وصية من الإمام السابق أولهم هو سيدنا علي أوصى له رسول الله ﷺ ثم الحسن ثم الحسين إلى أن نصل إلى الإمام الذي اسمه محمد بن الحسن العسكري وهو الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر، ولقبه الثاني عشر لأن ترتيبه رقم ١٢. والمهدي المنتظر لأنه غاب وهو صغير في سرداب في بلد اسمه «سرمن رأى» في العراق يقال عليه «سامراء» والنسبة إليها «السامرائي»، وسيظهر في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورًا، وهي نفسها الفكرة الموجودة في أحاديث

أهل السنة عن المهدي، وهي موجودة في ملل وديانات كثيرة أخرى، وحاصلها أنه بعد انتشار الظلم سيأتي زعيم مصلح ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملأت ظلما وجورا، هذا الزعيم عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية هو الإمام الثاني عشر، وفي كتبهم وخطبهم، يطلق عليه صاحب الزمان.

وتجد الرئيس أحمدي نجاد عندما يخطب، لو تابع أحد كلامه، ستجده يبدأ بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه، ثم على صاحب الزمان عجل الله فرجه، صاحب الزمان، الذي يدعون بأن يعجل الله فرجه هو هذا الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر الغائب، غيبة كبرى، في سرداب في «سُرَّمن رأى» منذ سنة ٣٢٩ إلى الآن.

قال فقهاء الإمامية قبل خميني منذ الغيبة لا توجد إمامة، لا يوجد أحد من آل البيت ليحكم، وبالتالي لا توجد دولة ولا يوجد أحد يطبق قوانين الشريعة الإسلامية، لا يوجد أحد يأمر بالاقتصاد طبقا للشريعة الإسلامية، لا يوجد أحد يمنع الربا، لا يوجد قاض يحكم بالقوانين الإسلامية في المعاملات، أو في الزواج أو في الطلاق، وبالتالي يتولى الفقيه ولاية الأمور الخاصة بالناس، أما الشئون العامة فنتركها لهؤلاء الحكام الظلمة وتركوها لآل بهلوي والصفويين قبلهم و.. وكل الناس حكمت والإسلام مقصىً إقصاءً تامًا عن الحياة.

ثم جاء خميني بعبقريته السياسية والفقهية، وخميني على الرغم من كل ما يقوله عنه كثير من الذين لا يطيقون التشيع ولا الشيعة، ويصفونه بأشياء كثيرة، وعلى الرغم من بعض العبارات الغريبة التي في كتبه الأصلية القديمة، قبل أن يتحول إلى هذا الزعيم السياسي بثاقب فكره السياسي، جاء فقال إن غيبة الإمام أدت إلى ضياع الدولة، وضياع الدولة أدى إلى ضياع الشريعة، فإذا أردتُ أن أردَّ الشريعة ماذا أفعل؟ يجب أن أعيد الدولة، كيف أعيد الدولة وأنا لا أستطيع أن أعيد الإمام الغائب، فماذا أفعل؟! قال «إذن الولي الفقيه الجامع للشرائط يتولى شئون الأمة».

الولي: مشتقة من الولاية (السلطة) ومعنى الولاية هو نفاذ القول على الغير.

الفقيه: أي يكون عنده علم بالفقه كافٍ لتطبيق الشريعة الإسلامية،

جامع الشرائط: وهي العدالة والتقى والعفاف والأمانة ورعاية المصالح وترك المفاسد ومجموعة من الشروط الخاصة التي إذا توافرت في الفقيه أصبح أهلا للولاية.

وقال: إذا وجد فقيه واحد أهل للولاية فهو الذي يتولى الحكم، ولكن إذا وجد كثيرون ماذا نفعل؟! يختارون من بينهم واحدا، لكن لابد أن يكون الولي الفقيه واحدًا، وهذا الولي الفقيه يكون نائبا عن الإمام الغائب حتى يعود.

هذا الولي الفقيه لا يعزل، لأنه نائب عن الإمام الغائب الذي لا يقبل العزل، لكن لا نستطيع أن نترك أحدًا إلى يوم القيامة أو حتى يموت يدير الدولة، فماذا نفعل؟؟ النظام الجمهوري هو الحل. دستور فيه رئيس الجمهورية ينتخب كل ٤ سنوات، ومجلس وزراء يعينه رئيس الجمهورية، برلمان ينتخب كل خمس سنوات، ثم بعد وفاة خميني مباشرة أضافوا إليه مجمع تشخيص مصلحة النظام الذي يرأسه الشيخ علي أكبر هاشمي رفسنجاني، هذه المؤسسات تدير الدولة الإدارة اليومية، التي كان ينبغي أن يديرها الإمام تحت إشراف نائب الإمام، وهو الولي الفقيه.

أول واحد كان خميني – رحمة الله عليه – والآن الذي خلفه السيد علي خامنئي الإمام الحالي المرشد الأعلى للثورة الإيرانية. الإدارة (رئيس الجمهورية والبرلمان والوزراء) يحكمون، والمرشد الأعلى للثورة له الكلمة النهائية والإدارة الحاسمة بصفته نائبًا عن الإمام.

هذا التركيب الذي أتى به خميني كان اختراعًا جديدًا في الفقه السياسي الشيعي. طبعًا تبعته اختراعات أخرى، فهناك من قال: ولاية الأمة على

نفسها (آية الله محمد مهدي شمس الدين)[1] وهناك من قال: الانتخاب الحر المباشر (آية الله محمد حسين فضل الله)[2]، هناك من قال الانتخاب الحر الديمقراطي (شريعتمداري رحمه الله)[3] الذي كان معاصرا للخميني ومن زملائه لكن اختلفوا في السياسة، (آية الله حسين علي منتظري)[4] الذي كان نائبا للخميني في حياته ألَّف كتابا من أربع مجلدات عن ولاية الفقيه، تأصيلا وتأسيسا لفكرة ولاية الفقيه هو نفسه عاد في السنوات الأخيرة من حياته عن تأييد فكرة ولاية الفقيه، وقال بولاية الأمة ورجع إلى قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ وقال عن هاتين الآيتين إنهما أساس نظام الحكومة الإسلامية.

فما قام به خميني هو حِراك في الفكر السياسي الشيعي وفي الفقه السياسي الشيعي ليس له نظير. يمكن بعد خمسين سنة الدنيا تتغير، يمكن بعد مائة سنة، لكن عندما تنظر إلى مجموع الفكر السياسي الشيعي الآن، وتنظر إليه قبل تحرك خميني هذا التحرك، أنت أمام مدرستين مختلفتين تمام الاختلاف..

- **منذ القرن الرابع؟**

- منذ القرن الرابع إلى الآن ـ عشرة قرون ـ فهو بعد عشرة قرون أتى بشيء جديد لم يسبقه إليه أحد والميزة في خميني أنه لم يأت بشيء جديد فكريا فقط

---

(١) صديقنا العالم العامل، المؤمن بوحدة الأمة، المنفتح على كل فكر سويٍّ، المتوفى في ١٦ من شوال ١٤٢١هـ = ١٠/ ١/ ٢٠٠١، رحمه الله تعالى.

(٢) توفي، إلى رحمة الله تعالى، في أثناء عملي في هذا النص وكانت وفاته في ٢٢ من رجب ١٤٣١هـ = ٤/ ٧/ ٢٠١٠ بعد حياة حافلة بالعمل العلمي الفقهي والجهاد السياسي والتربية والتوعية الجادتين، وكان – رحمه الله – من المراجع الشيعية العربية الكبرى.

(٣) توفي إلى رحمة الله تعالى، في ٢٣ من رجب ١٤٠٦هـ = ٣/ ٤/ ١٩٨٦م.

(٤) توفي، إلى رحمة الله تعالى، في يوم الأحد ٤ من المحرم ١٤٣١هـ = ٢١/ ١٢/ ٢٠٠٩م وكانت جنازته جنازة حاشدة. وقد كان – رحمه الله – شخصية بارزة في المجتمع الإيراني، وعالماً مُتَّبعًا لدى من لا يحصون من الشيعة، اجتمعت به مرات في بيته في قم قبل وضعه تحت الإقامة الجبرية.

ولكنه نفذه عمليا، فقد قام بفكرة فثورة فدولة. والتطور الذي بدأه خميني بفكرته، ثم بثورته ودولته، سيقود، إذا استمر في الطريق الذي بدأه خميني، إلى وحدة المسلمين. فجهود التقريب بين السنة والشيعة تسير منذ قيام الجمهورية الإسلامية في إيران على قدم وساق، والشيعة والسنة على اتساع العالم الإسلامي يشعرون بأن بعضهم أقرب إلى بعض مما كانوا قبل الثورة الإيرانية. طبعا هناك استثناء يتمثل في المتعصبين من الطرفين، وفي الغلاة منهما، وفي العوام الجهلة الذين يتبعون كل ناعق بلا تمييز ولا تفكير... ولكن هذا كله ستقضي عليه جهود العلماء العقلاء والدعاة الحكماء، وهم بفضل الله الكثرة الغالبة في الفريقين جميعًا.

- **نريد التوقف عند نقطة مثيرة ذكرتها في حديثك، وهي تطور فكر الإمام خميني، فالكثيرون يأخذون عليه أنه مثل أفلاطون، قال في الجزء الأول من حياته خلاف ما قاله في الجزء الثاني منها، فالبعض يأخذ عليه سب الصحابة، فماذا ترى في هذا الأمر؟**

- لا يوجد حرج في الإجابة عن سؤالك فأنا أحمد الله حمدًا لا ينتهي بأنني لا أعرف معنى الحرج، أنا أَحَرِجُ إذا ضايقتك، أو إذا غمطتك حقك.. هذا يحرجني جدًّا، أحرج إذا ظلمت أحدًا ممن يشتغلون معي أو يساعدونني في حياتي، أو من أولادي أو بناتي، أحرج إحراجًا شديدًا؛ لكن أنا في مسألة الرأي والسياسة والفكر والفقه والثقافة والدين والحياة العامة كلها ليس عندي حرج، والذي أؤمن به أقوله الآن، وإذا كفرت به بعد دقيقة أقول أنا رجعت فيه وكفرت به، ليس عندي عيب في هذا، كان أبو حنيفة يقول: «إنا نرى الرأي اليوم ونرجع عنه غدا ونرى الرأي غدا ونرجع عنه بعد غد» وكان يقول: «علمنا هذا رأي وهو أحسنُ ما قدرنا عليه فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه»، وكان الإمام الشافعي يقول «ما ناظرت أحدًا قط إلا وددت أن يظهر الله الحق على لسانه». فأنا أَعُدُّ نفسي رضيعا في هذه المدرسة أرضع مما تركته الأمة وأتعلم منه فأنا ليس عندي حرج في المسائل العامة أبدًا.

- **سؤال خميني له شقان: أحدهما فقهي أو ديني خالص فيما يتعلق بموقفه تجاه أهل السنة والخلفاء الراشدين والسيدة عائشة وبعض الفتاوى الخاصة بالزواج. والرأي الثاني سياسي لأنه عندما بدأ عهده بدأه بالفكرة والثورة لكن بحرب مع العراق.. أي مع العروبة؟**

- توجد مرحلتان في حياة آية الله خميني، لابد من التمييز بينهما، مرحلة كونه مدرسًا في الحوزة العلمية سواء في قم أو في النجف، التي كان يدرس فيها المذهب الشيعي كما تركه الأسلاف من غير تجديد وبغير تفنيد وبغير النظرة الانتقادية التي تحلى بها في المرحلة الثانية، في هذه المرحلة ـ الأولى ـ نجد كتبه في الفتاوى وكتبًا أخرى تضمنت ما ذكرتَه من نقل لسب الصحابة، عن الشيعة السابقين، وانتقادات لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكذلك أشياء لا يقبلها المسلم السنّي العادي، وليس العالم أو طالب العلم، لا يقبلها وتأباها نفسه، وهي أمور منتشرة عند إخواننا الشيعة القدماء، وعند عوام الشيعة حتى الآن ميراثا وتقليدًا. لكن عند علماء الشيعة في العصور الحديثة تكاد تكون غير موجودة، وهذه مسألة يجب أن نقولها.

عندما كان خميني يدرس المذهب الشيعي كما وجده في الكتب، كان يقول هذه الأشياء ويذكرها، قال فلان كذا و... وقالوا عن عليّ كذا، وقالوا عن عائشة كذا، وقالوا عن جعفر كذا.. وأغلب هذه النقول في المذهب الشيعي التي فيها سب للصحابة وانتقاص من أمهات المؤمنين وازدراء الخلفاء الراشدين – رضي الله عنهم وأرضاهم – نصوص باطلة ليس لها أساس، نصوص مكذوبة موضوعة لا تصح نسبتها إلى جعفر الصادق أو إلى محمد الباقر أو إلى أئمة أهل البيت؛ لأن جعفر الصادق هو حفيد الصحابي الجليل أبو بكر الصديق لا يمكن أن يشتم جده(!) هؤلاء الأئمة الكبار كانوا بمنأىً عن هذا، ولا يمكن أن تصح إليهم نسبة لفظ واحد من هذه الألفاظ، إنما وقع في هذا المتعصبون بعد الاضطهادات التي ذكرناها قبل ذلك التي أصابت الشيعة من الأمويين ثم من العباسيين بصورة أشد وأكبر.

أنا أريد فقط أن أقول ـ عن السب لأنه يشغل المسلمين جدًّا ـ ويشغلني أيضا، ويؤلمني، ويؤذيني أن يُسب أي صحابي. المسلم ينبغي أن يؤلمه أن يسب أي إنسان. فالمسلم ليس سبابًا ولا شتامًا، أن يُسب أصحاب محمد ﷺ هذه نقيصة كبرى ممن يقع فيها، نسأل الله أن يتوب عليهم منها، لكن ينبغي أن نقول الحق ولو كان على أنفسنا، الذين بدءوا سب الصحابة كانوا أهل السنة وليس الشيعة، بدأ سب الصحابة في عهد معاوية بن سفيان، – غفر الله له – في عهد معاوية سُبَّ علي وأولاده وشيعته على المنابر بعدما انفرد معاوية بأمر الشام وما والاها من البلاد، وعندما تنازل له الحسن بن علي عن الخلافة كان من شرطه في التنازل ألا يسب عليٌّ وأصحابه على المنابر، لكن هذا الشرط لم ينفذ، وظل هذا السب جاريًا إلى أن جاء الخليفة الراشد السادس عمر بن عبد العزيز، هو الذي أبطله، طبعا نحن توقفنا ولا أحد يجرؤ على سب عليٍّ رضي الله عنه ولا سب أي صحابي كان، لكن إخواننا الشيعة لم يتوقفوا عن سب الصحابة، واستمر عوامهم واستمر جهلة أصحاب العمائم منهم، في السب والشتم، وهذا أمر لا يقره علماؤهم الكبار أصلًا.

في هذه المرحلة تكلم خميني عن صنمي قريش في كتاب «الفتاوى»، وذكر كلامًا كثيرًا نقله عمن سبقه دون تدقيق أو تمحيص، ثم انتقل خميني إلى النجف، بعد اضطهاده من قبل الشاه، وبدأ يكتشف أن الفقه الشيعي توقف عند الشئون الخاصة، وترك شئون الأمة لسيطرة الحاكم، هو خارج إلى النجف مظلوم ومضطهد، وكذلك أهله من قبله كانوا مظلومين أبوه وأعمامه، فأثَّر هذا الاضطهاد فيه، فبدأ يفكر تفكيرًا سياسيًا انتهى به إلى فكرة ولاية الفقيه التي ذكرناها.

في هذه المرحلة لا تجد للخميني كلمة فما فوقها فيها إغضاء من الصحابة أو فيها انتقاص لهم أو فيها طعن على أحد منهم، هذا غير موجود بعدما أصبح خميني زعيمًا سياسيًا. خميني الزعيم السياسي أثَّر في خميني الفقيه، خميني الزعيم

السياسي أثَّر في خميني الشيعي الوارث للمذهب، خميني الزعيم السياسي أثَّر في خميني المدرس الذي كان يدرس ما يقلده من أقوال المصنفين السابقين من علماء الشيعة ويقول ما كانوا يدرسونه في كتبهم. خميني السياسي مختلف تمامًا عن خميني الفقيه. أو دعنا نقول عن خميني المدرس.

ولو أن خميني السياسي طال به الزمن لكتب، فيما أظن، ما يخالف هذه الكتب، ولأعلن نقدها وتبرُّؤه مما نقل فيها، لكنني أنظر للخميني من يوم ما قامت دولته ونجحت ثورته، وتحولت فكرته إلى دولة، أول منشور أصدره خميني أفتى بوجوب أن يصلي المسلمون الشيعة في الحج مع أئمة الحرمين الشريفين، وهذا أمر يعرف معناه من حج قبل مجيء خميني، أنا حججت قبل مجيء خميني وكان الشيعة يبقون في الحرم إلى أن تقام الصلاة فيخرجون، لأن إمام الحرمين الشريفين لم يعينه الإمام الغائب!!

كانوا يتركون الصلاة ويصلون فرادى بالخارج، وعندما تنتهي الصلاة الجامعة يدخلون المسجد مرة أخرى يقرءون القرآن، يقولون أدعيتهم، ويجلسون مع وعاظهم بلغاتهم. عندما أتى خميني قال لا.. هذا لا يجوز، لا تصح الصلاة في الحرم فرادى، يجب أن تصلوا مع أئمة الحرم. أقام الجمعة في طهران من أول يوم وصل فيه، وكانت الجمعة لا تقام في بلاد الشيعة كلها منذ الغيبة الصغرى، خميني كان أول من أقام الجمعة...

بالمناسبة قول بعض جهلة أهل السنة إنهم يصلون على حجر مجلوبٍ من كربلاء هذه أكذوبة، هم يصلون على الأرض أو ما نبت منها، هذا هو مذهبهم، وهذا هو الأصل في مذهب مالك أيضا، هو أن تصلي على الأرض أو ما نبت منها.

لا يجيزون الصلاة على السجاجيد ولا على الخشب الصناعي ولا على الحصير البلاستيك، لذلك أئمتهم عندما يكونون معنا في اجتماع أو علماؤهم العاديون يأخذون منديل ورق؛ لأن هذا مما نبت من الأرض يأخذه ويضعه ويسجد عليه، هي فقط مسألة السجود أن يسجد على الأرض أو ما نبت منها...

نعم الإمام مالك مذهبه هكذا، لكن المالكية تركوا هذه المسألة من المذهب ويصلون على أي شيء، والشيعة لم يتركوها هم باقون عليها حتى الآن.

- **ألف سنة؟! لا توجد صلاة جمعة؟**

- نعم عشرة قرون لا توجد صلاة جماعة، لا جماعة ولا جمعة لأن الإمام غائب!! كيف يصلون والإمام غائب؟! أعاد خميني الجماعة وأعاد الجمعة. الجمعة في طهران يسمونها الجمعة المليونية يصلونها في ملعب جامعة طهران ٢ مليون ونصف ٣ ملايين ٤ ملايين وكذلك في كل العواصم الكبرى؛ لأن مذهبهم أيضا أن تقام جمعة واحدة في المدينة الواحدة!!

- **الجمعة التي يخطب فيها الرئيس أحمدي نجاد؟**

- التي يخطب فيها خامنئي ورفسنجاني وآية الله جنتي وآية الله كاشاني، وغيرهم، أما الرئيس نجاد فليس من أهل العلم الديني، فهو مهندس يعمل بالسياسة، ولكن الجمعة يخطب فيها علماء الدين. الرئيس أحمدي نجاد يخطب خطبًا سياسية في مناسبات غير الجمعة.

الآن إخواننا الشيعة يقفون معنا في الصفوف في الحرمين الشريفين منذ أن رجع خميني إلى إيران، وأقام الجمهورية الإسلامية، وهذا أمر كان جديدًا تمامًا على السلوك الشيعي.

كان عوام الشيعة يعتقدون أن السيدة فاطمة رضي الله عنها، مدفونة مع الرسول ﷺ في المسجد النبوي في القبر الذي في موضع بيت النبي أصلا، الموجود الآن داخل حرم المسجد النبوي، فأعلن خميني أن هذا باطل، وأن السيدة فاطمة مدفونة في البقيع، ومن يريد أن يدعو لها يدعو لها في البقيع، وهذه مسألة أخرى قلبت الأفكار القديمة أو التقليدية عند عوام الشيعة، وقِسْ على ذلك(!) فخميني السياسي كان رجلًا مختلفًا تمام الاختلاف عن خميني المدرس، خميني الذي يؤخذ عليه ما يؤخذ وينسب إليه ما ينسب، وهو

صحيح، وموجود في كتبه، هذا خميني مدرس الفقه الذي يدرس المنهج الذي كتبه من قبله، لكن خميني المجتهد آية الله خميني السياسي، أمر مختلف يُقرأ في الحكومة الإسلامية، وفي فتاواه بعد الحكومة الإسلامية من يوم أصبح مرشد الثورة الإيرانية، غير ذلك لا يصح أن نأخذ عليه ما قاله في مرحلة أخرى.

وكما قلتَ إن أفلاطون له رأيان، والغزالي نفسه، الإمام الغزالي صاحب «إحياء علوم الدين» له مرحلتان، وكثير من الأئمة لهم مرحلتان، الإمـام الشافعي له مذهبان ـ لكن هذا له سبب مختلف ـ أحدهما قديم في العراق والجديد في مصر. فخميني له مذهبان، له مذهب قبل أن يدرك البعد السياسي للدين، وله مذهب بعد أن أدرك البعد السياسي للدين، وأصبح آية الله العظمى، أصبح خميني المعروف للناس كافةً، ويجب أن نعامله بالأخير لا بالأول، الناس يعاملون بآخر أمرهم لا بأوله.

- **من الدين للسياسة خميني وحرب العراق؟**

- تعرضت في أحد أسئلتك السابقة لما يقال له: محاربة خميني للمد العربي في العراق. وأنا معترض تمام الاعتراض على هذه الجملة، خميني لم يحارب العراق، العراق بدأ بالعدوان على خميني، وهذا أمر لا شك فيه، أنا أقول لا شك فيه لأننا ـ وهذا كلام يقال لأول مرة ـ عندما بدأت الحرب الإيرانية، شكلنا فريقًا عربيًا سميناه «الفريق العربي للتوفيق والمصالحة».

وكان يضم الدكتور راشد المبارك من السعودية، والدكتور زوار الزيدي – رحمة الله عليه – من باكستان أستاذًا في جامعة لندن، والأخ العزيز الحبيب الأستاذ قاسم الوزير من شيعة اليمن، من الشيعة اليمنية الزيدية، ومحمد سليم العوَّا، ثم بعد ٦ أشهر من تشكيل هذا الفريق اتخذنا رئيسًا لنا شيخنا العلامة محمد الغزالي. الفريق ذهب إلى إيران عدة مرات، وإلى العراق مرتين، ولكني لم أذهب معهم إلى العراق لأسباب خاصة. وهذا الفريق انتهى بلا جدال بعد

رؤية آلاف الصفحات والوثائق والبرقيات والمكاتبات العلنية والسرية بين الجهات المختلفة، إلى أن الحرب بدأها العراقيون ولم يبدأها الإيرانيون.

ولم يكن في وسع الإيرانيين، ولم يكن يجوز لهم - ولو كنت مكانهم لفعلت ذلك - إلا أن يردوا العدوان فلا يعتدى عليهم فيسكتون. والعدوان كان لأنه لا يراد أن تقام دولة إسلامية في هذه المنطقة من العالم، ولو كان إسلامًا شيعيًا. وعندما أخفقت محاولات إزالة الدولة الشيعية الإسلامية على مر السنين، بدأت فتنة السنة والشيعة، وتلاحظ وقتها أثناء استمرار الحرب، لم يرد موضوع السنة والشيعة، في (٩٠و٩١و٩٥و٩٦) هل سمعت عن السنة والشيعة؟ لم يأت أحد بسيرته، وإنما بدأت قضية السنة والشيعة تثار بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وتبيَّن عدم قدرة القوى الغربية، ومؤازريها من العرب، على إزالة هذه الدولة، إذن فليجعلوا بأسنا بيننا بأن يثيروا الفتنة الداخلية، الإسلامية ـ الإسلامية، الشيعية السنية، لعل هذا يهدم الفريقين جميعًا.

- **السنة والشيعة والملف الأخطر؟**

- قبل الحرب الإيرانية ـ العراقية وبعد انتهائها لم نكن نسمع فيها فكرة سنة وشيعة، رغم استمرارها ٨ سنوات، سمعنا فيها العراق وإيران، سمعنا أن أمريكا تدعم العراق وأن هناك بعض البلاد العربية تدعم العراق، وهناك بلاد أقامت طرقًا خاصة لنقل الذخائر والسلاح تصل إلى العراق بسهولة، وبلاد أخرى أعطت المليارات للعراق لكي تمول الحرب ضد إيران، ولم نسمع فتنة سنية شيعية قط في هذه المرحلة.

وعندما انتهت الحرب ولم يسقط النظام الشيعي، النظام الإسلامي ـ الإيراني، انتهت الحرب ونشأ في أثنائها حزب الله كقوة مقاومة في لبنان، انتهت الحرب وبدأت إيران تمد أيدي المعونة للمقاومة الفلسطينية بفصائلها كافة ضد

العدو الصهيوني، انتهت الحرب وحدثت في أثنائها مسألة احتلال السفارة الأمريكية في طهران، ومسألة الطائرات التي قامت من بلد عربي، ونزلت في إيران لتحرير الرهائن الأمريكيين في السفارة، فأحرقها الله بمجرد هبوطها في الأرض، هي وما فيها من سيارات وعتاد، أتت إليها صاعقة لا يعلم أحد من أين، ولم يعلموا بالموضوع إلا صباحا عندما أبلغ الناس أنهم وجدوا طائرات محروقة.

لما حدث هذا كله، وتبين أن إزالة هذه الدولة من خريطة الشرق الأوسط أمر غير ممكن، لجأ عدو هذه الأمة الإسلامية كلها، سنتها وشيعتها، إلى السلاح الذي ظنه فتاكًا وهو سلاح الفرقة بين السنة والشيعة، ونحن نظن ـ كذلك ـ أنه فتاك، لذلك نقف أمام استعماله بكل ما نستطيع من قوة، ونتحمل في سبيل ذلك ما نتحمله محتسبين ما نلقاه في سبيل ذلك عند الله سبحانه وتعالى.

لجئوا إلى إيقاد نار هذه الفتنة لكي يقولوا إن تدمير الدولة الإسلامية الإيرانية لم يأت إلا بانصراف السنة عنها مع أن الذين أنشئوها هم الشيعة. السنة الذين يؤيدونها يؤيدونها بالقلب أو باللسان على الأكثر، ولا يستطيعون أن يقدموا لها شيئًا، هم في الحقيقة يحاولون إسقاط الدعم الإيراني، الدعم المالي والعسكري والسياسي الإيراني، عن المقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل، والطريقة هي ضرب العلاقة السنية والشيعية في العالم الإسلامي. موقف دول الخليج معروف، وموقف مصر متأرجح ووزير خارجية إيران منوشهر متكي قال جملة لطيفة جدًّا: «لا نستطيع أن نصف العلاقة المصرية ـ الإيرانية بأنها غير مرضية»، فهو لم يقل مرضية، كما لم يقل إنها حارة وقوية، الدول الأخرى تسير في طريق لا تريد الرجوع عنه، والجمهورية الإسلامية الإيرانية تسير مثل قطار السكة الحديد، من يمشي في طريقها يركب معها ومن لا يمشي تتركه واقفًا على المحطة، ومن يُدْهَسْ أمره إلى الله(!)

هم يعملون بمنهج لم يتغير من أيام خميني، وأظن أنهم لن يعملوا على تغييره، إلا إذا سقطت هذه الجمهورية، وإذا لم تسقط فهذا المنهج مستمر.

عندما تنتقل مباشرة من النظام السياسي الإسلامي في إيران إلى الثورة الإسلامية في السودان، تجد أنها ثورة عسكرية قامت بمقولة تطبيق الإسلام، أجرت بعض تعديلات وسنت بعض قوانين بعضها باقٍ وبعضها رُجع فيه، وفي النهاية تعرضت ولا تزال تتعرض لضغوط هائلة من العالم كله.

إخواننا السودانيون بما فيهم الرئيس البشير نفسه يقولون إن سبب الضغط عليهم إصرارهم على الصبغة الإسلامية للحكم في السودان، لكن العالم ينفي ذلك ويقول: نحن نخاف على الأفارقة المضطهدين من قبل السودانيين، نخاف على قبائل البجا (٢٠٠-٣٠٠ألف) الذين يمنعهم السودانيون من استعمال لغتهم غير المدونة على مر الزمن، يقولون: نحن نخاف ونشفق على الناس في دارفور، الذين يقتلون، والسودان يقول: إن هذا كله ليس إلا محاولة لإزالة الصبغة الإسلامية عن الحكم، مهما كانت هذه الصبغة شفافة وخفيفة وغلالة رقيقة.

لا يراد أن يكون هناك حكم في أي مكان يستعمل اسم الإسلام، حكم واحد في دولة واحدة المسموح له بهذا، وبقية الدول وبقية الحكومات غير مسموح لها بذلك.

هذه هي قضية الحكم الإسلامي في السودان. طبعًا الصراع السخيف الذي وقع بين حسن الترابي وبين المؤتمر الوطني الحاكم برئاسة الرئيس البشير ونائبه علي عثمان طه، الذي كان صديق الترابي وزميله وعضوا في مكتبه السياسي طول عمره، هذا الصراع مؤسف، الصراع بين فتح وحماس صراع مؤسف ومخجل، الصراع الواقع بين الدول العربية وبعضها البعض، الذي يصل لدرجة القطيعة صراع مؤسف وخواتيمه بائسة للأطراف كلها. لكن هذا كله نتيجة التخلف، هذا الصراع يحدث عندما لا ينشغل الناس بقضية عامة مهمة، يجيِّشون لها القلوب والعقول والسلاح والمال، فإذا لم يكن عندهم قضية ينشغلون بها فإن بعضهم ينشغل ببعض.

- **دكتور تراجعني حضرتك.. في قضية إن المسلمين عندما رُفع شعار الصحوة والتجديد وما إلى ذلك، كانوا يأملون خيرا من الذين رفعوا هذه الشعارات أكثـر من الأنظمة الأخرى أو التيارات الأخرى، لكن ما حدث في السودان هو أنه كان حكمًا يرفع شعار الإسلام، أتى عليه حكم يرفع شعار الإسلام بقيادة جعفر نميري، ثم جاء أيضا حكم إسلامي رفع شعاره عمر البشير، وجاء شريك معه في الحكم حسن الترابي، وما حدث بين الإسلاميين أنهم انقلبوا على إسلاميين، انقلبوا على إسلاميين آخرين، ثم انقلبوا على أنفسهم، هذا الشكل غير المرضي مع أنه في البداية كان بهدف الصحوة والتجديد وعالمية الإسلام وما إلى ذلك، ألا ترى أن هذا يشعر الكل بالإحباط من مجمل المشروع السياسي الإسلامي؟**

- لا، في الحقيقة هو لا يشعر بالإحباط، وإنما يشعرنا بعدم الرضا عمن فعلوا ذلك، أنا أولا أريد أن أذكرك أن النميري – الله يرحمه ويغفر له، وكنت أعرفه شخصيا – رأيته مرات عديدة وأكن له كل مودة إنسانية وأخوة إسلامية طيبة، نميري عمل مع الشيوعيين واستخدمهم سنين طويلة، وعندما خاف من أن ينقلب عليه الشيوعيون والانقلاب نفذ فعلا لكن نميري نجح في أن ينجو منه فضرب الشيوعيين وجاء بالإسلاميين، وهذه لم تكن مسألة متعلقة بقضية الصحوة الإسلامية وإنما هي متعلقة (بمن يغلب من؟!)

  المثل المصري «اللي تغلب به العب به» استعمله النميري وغلب بالإسلاميين إلى أن حدث الانقلاب عليه وأطاح به، ثم جاء بعده الإسلاميون حسن الترابي وانقلاب جبهة الإنقاذ.

- **وكيف يمكن لعامة الناس أن تفرق بين هذا وذاك؟! يعني الحل الإسلامي و...**

- نعم.. الشعار شيء جميل، ثم التطبيق غير..

أنا أقول وأقر أن التفريق في غاية الصعوبة لكن وضع الحدود الفاصلة بين الإسلام وبين الذين ينتمون إليه (حقا أو باطلا)، بين من يدعون الانتماء

إليه وبين من ينتمون إليه انتماء حقيقيا، ووضع الحدود الفاصلة بين هؤلاء وهؤلاء ضرورة، والمشتغل بالعمل الإسلامي أو الفكر الإسلامي أو الثقافة الإسلامية الذي لا يكون شجاعا في وضع هذه الحدود الفاصلة يكون خائنًا لأمته.

الذين يَدَّعونَ الانتماء إلى الإسلام ليسوا كلهم في الحقيقة منتمين إليه، أغلبهم عند التطبيق يتضح أنه منتم لمصلحته الشخصية وأنه يبحث عن مجده الذاتي وأن الإسلام وسيلة، إذا سَّار الأمر بها فهذا خير وبركة وإذا لم يسر الأمر بها يمكن أن يتحالف حتى مع أعداء الإسلام، والآن هناك تحالفات في السودان نفسه بين طائفة إسلامية أو حزب سياسي يمثل طائفة إسلامية عريقة وبين الذين يقفون ضد الشعب السوداني مع المحتل ومع الأجنبي ومع المهيمن الغربي لكي يطيحوا بحكومة البشير، هل هذا التحالف باسم الإسلام؟! هل هذا التحالف باسم هذا الحزب القديم؟! هل هذا التحالف باسم هذه الطائفة العريقة؟! لا طبعا.

لكن هذا التحالف هو لمصالح مظنونة أو متوهمة، وهي مصالح سياسية آنية قصيرة النظر، يقع فيها المشتغلون بالعمل السياسي تحت شعار ومسمى الإسلام، ولكن خذ مثلا: الدعاة الإسلاميون الذين قاموا بتغذية الصحوة الشيخ محمد الغزالي مثلا مع من اختلف؟

الشيخ الشعراوي مع من اختلف؟

الشيخ القرضاوي مثلا – ربنا يعطيه الصحة والعافية – مع من اختلف؟

حتى الشيخ عبد العزيز بن باز – الذي كان عالمًا سلفيًا تقليديًا ولم يكن له شأن مباشر بالصحوة – مع من اختلف؟

ومئات، بل آلاف العلماء العاملين في العالم كله: ماذا قدموا لأمتهم، ومع من اختلفوا؟

هؤلاء الذين يعملون للإسلام عملا حقيقيا في بناء الأشخاص وبناء العلماء وبناء المؤسسات وبناء الفكر لا يتشاجرون ولا يختلفون، إنما يختلف الذين يعملون بالسياسة. السياسة تصيب الدنيا، وقد تفسدها، لكن الدين لا يفسدها، الدين يصلح الدنيا، فهذه مسألة يجب أن ننتبه إليها.

- **ماذا عن المشهد الأخير في دارفور؟ هل ذهبت إلى دارفور أكثر من مرة؟**

- الحمد لله ذهبت أكثر من مرة، إحداها مع وفد الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين الذي عمل عملا مجيدًا في دارفور، أول وفد ذي شأن يزور دارفور كان وفد الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين. بعد الصراع مباشرة في سبتمبر ٢٠٠٤، بعد تأسيسه مباشرة في يوليو ٢٠٠٤.

- **من كان برفقتك؟**

- كنت مع الشيخ يوسف القرضاوي وكان رئيس الوفد والشيخ فيصل المولوي والشيخ علي القرة داغي ومن السودان الدكتور عصام البشير كان وقتها وزير الأوقاف في السودان، ثم ترك الوزارة بعد ذلك، وهو عضو مجلس أمناء الاتحاد، زرنا السودان ودارفور، وجلسنا في الخرطوم مع جميع القيادات السودانية الدارفورية وغير الدارفورية، ورأينا في دارفور اللاجئين والمهَجرين والجنجويد والميليشيات ضد الحكومة، لم نترك أحدًا لم نره وقدمنا تقريرًا مطولًا نشر في عدد من وسائل الإعلام، وكتبت مقالا طويلا نشر في مجلة «وجهات نظر» وقمت بعدة لقاءات تلفزيونية حول الموضوع، وانتهى الأمر إلى أن موقف الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين يتلخص في ثلاث نقاط:

النقطة الأولى: هي أن هناك دماءً أريقت في دارفور، لا يجوز أن تهدر، وعلى الحكومة أن تدفع الديات، وكل تأخير من الحكومة في دفع الديات خطأ نحن لا نؤيده وندعو إلى رفعه وإلى دفع الديات بسرعة، فنظام الدية معمول به هناك، والأصل في ذلك أنه «لا يُطَلُّ (أي لا يذهب بلا حساب) دم في الإسلام».

المسألة الثانية: هي أن القوات التي تحارب الحكومة في دارفور ليست قوات انفصالية وإنما قوات تمول استعماريًا، وهذه القوات لا يجوز أن تؤيد ولا أن تدعم ولا أن تساعد، ويجب عليها أن تنضم إلى أهل السودان في مواجهة الغرب الاستعماري وليس إلى الغرب الاستعماري في مواجهة حكومة السودان وأهله.

الأمر الثالث: أن مسائل التنمية والتهميش، هذا العنوان مشهور جدًّا في السودان ـ في مصر لا تسمعه كثيرًا ـ والمهمشون في السودان هم من يقولون: «نحن لا نجد ماء، لا نجد كهرباء لا نجد غاز»، ومسائل التنمية والتهميش يجب أن تعامل كلها في السودان بمعيار واحد، لاسيما وأنه في هذا الوقت كان السودان قد بدأ يشم رائحة أموال البترول، بدأت كميات قليلة من البترول تصدر ويأتي منها عائد هذا العائد نَمَّى في بلاد الخليج التنمية التي تعرفها، ونَمَّى أمريكا ونَمَّى أوربا فلماذا لا يُنَمِّى السودان؟ فوضعنا هذه النقاط الثلاثة في تقريرنا بوضوح وبتفاصيل وبأدلة وبدأ كثير مما نصحنا به يجد طريقه إلى التنفيذ.

لكن طرأ حدث جديد هو تدخل المحكمة الجنائية الدولية في مسألة دارفور، ومحاولة إحالة البشير إلى المحكمة الجنائية الدولية، ثم قرار إحالته إليها، نحن وقفنا ولا نزال نقف ضد هذا بكل قوة، لمجموعة من الأسباب طويلة أهمها أن الأساس القانوني غير صحيح، لأن السودان ليس عضوًا في الاتفاقية وهذه المحكمة، قولا واحدا، لا شأن لها بمن ليس عضوًا في الاتفاقية، وقرار مجلس الأمن قاصر على إجراء التحقيقات وليس على إجراء المحاكمة ولا يستطيع أن يجبر دولة على الخضوع لاختصاص قضائي لم تقبل الخضوع له، وهذه قاعدة يَعْلَمُها طلاب الحقوق وطلاب العلوم السياسية من سنة أولى وسنة ثانية.

الأمر الثاني الأخطر في نظري وفي نظر اتحاد علماء المسلمين: هو أن هذا «تكئة»، بعد البشير سيكون هناك حكام عرب ومسلمون، كما وقع صدام فانبطح كثير من الحكام العرب والمسلمين، وسلموا بما لم يكونوا يسلمون

به، وقدموا القرابين على المذبح الأمريكي والمذبح البريطاني والمذبح الفرنسي وحتى المذبح الإيطالي، سوف ينبطح عشرات آخرون من الحكام إذا سقط البشير في قبضة المحكمة الجنائية الدولية، ونحن على الرغم من كل خلافاتنا مع حكامنا، لا نقبل أن يحاكمهم بدلا منا أحد، ولا أن يحاسبهم بدلا منا أحد، ولا أن يسألهم عما يفعلونه مع شعوبهم أحد، هذا شأن داخلي بيننا وبين حكامنا، نختلف معهم، نقول عنهم إنهم فيهم العِبَر(!) يضربوننا يعتقلوننا يسجوننا، هذا كله شأن داخلي لا نقبل، لو كنا في السجن، أن تأتي أمريكا لتحررنا أو تأتي بريطانيا لتحررنا، لا نقبل هذا، نبقى في السجن ونموت فيه ولا يأتي أجنبي يحكمنا.

هذه مسألة متعلقة بما يسمى الأمن القومي للأمة العربية، الأمن القومي للأمة العربية يستباح وينتهك يوم يؤخذ حاكم واحد، ولو كان حاكم محافظة في دولة عربية، يحاكم دوليًا، فنحن لم نرتكب جرائم حرب، لم نرتكب جرائم ضد الإنسانية، لسنا طرفًا في هذه المعاهدات حتى يحاكمنا أحد. فهذا هو موقفنا من القضية.

- **عندما ذهبت حضرتك والشيخ يوسف القرضاوي إلى دارفور.. هل وجدتم أغلب دارفور من المسلمين؟!**

- لا ليس أغلبهم! بل ١٠٠ ٪ من أهل دارفور مسلمين و١٠٠٪ من أهل دارفور مالكية يتبعون المذهب المالكي، ١٠٠٪ من أهل دارفور يحفظون القرآن إما كله وإما أجزاء كثيرة منه.

المهر في دارفور يتكون من شيئين جمال أو بقر.. الماعز طبعا لا قيمة لها؛ لأن الماعز هناك بمئات الملايين. حدثت خناقة في حي هناك منطقة اسمها كُتُم مثل مدينة نصر كده.. اسمها محلية كُتُم فكان القتلى كذا والجرحى كذا لكن الهالك من الأغنام ٢٣٠ ألف رأس لأن الغنم لا تعد ولا تحصى. المهم أن المهر في دارفور إما أبقار وإما إبل مع كم جزء من القرآن عندك؟ إذا ما عندك عدد من أجزاء من القرآن لا تتزوج (!!)

- **لأي عريس؟!**

- لأي عريس جزء من المهر لبنات دارفور أن يكون حافظا لأجزاء من القرآن، كله نصفه، ربعه، عدد من أجزائه، الذي لا يحفظ أجزاء من القرآن لا يزوج.

منطقة دارفور في إفريقيا اسمها دار القرآن، لأن حفظة القرآن في كل إفريقيا من دارفور أو علّمهم القرآن حفاظٌ من دارفور، الخرطوم نفسها فيها ٧٠٠-٨٠٠ مسجد لا يوجد مسجد إلا إمامه من دارفور، أو مؤذنه من دارفور، أو خادمه من دارفور، وعندما سألت وزير الأوقاف، عصام البشير، الإمام والمؤذن فهمنا لكن الخادم أيضا؟! فقال لي لأنه إذا كان من دارفور فهو يحفظ ٥-٦ أجزاء من القرآن يستطيع أن يصلي بالناس إذا غاب الإمام والمؤذن.

فدارفور قصة ضخمة جدًّا جدًّا وللأسف العرب يجهلونها جهلا مطبقا وهذا تقصير شديد في حق أهلنا في السودان

- **هل المسلمون في دارفور يدركون حجم الاختراق الخارجي؟!**

- أغلبهم، فمن لم يكن منهم متواطئا مع فريق من الفرق المحاربة فهو مدرك تماما.

- **من يريد ماذا من هناك يا دكتور؟ ببساطة.**

- ببساطة الغرب، الذي تتزعمه أمريكا يريد الاستيلاء على الموارد الطبيعية في دارفور التي هي موارد إستراتيجية، دارفور فيها أنقى يورانيوم في العالم، أرض لم تستثمر قط، ملايين الأطنان من اليورانيوم، دارفور هي مربع البترول رقم ١٢ في إفريقيا، الذي لم يستخرج منه برميل واحد، دارفور فيها جبال اسمها جبال الصودا، وبحيرة ـ أرض واسعة منخفضة ـ اسمها بحيرة النحاس وجبال اسمها جبال الحديد، وجبل اسمه جبل مَرة وهذا الجبل مناخه مناخ البحر الأبيض المتوسط في قلب الصحراء السودانية، وكأنك في الإسكندرية أو بيروت نباتات البحر الأبيض المتوسط من البرتقال والخوخ والمشمش،

دارفور قصة غريبة، دارفور ملايين الأبقار والإبل وملايين الأفدنة الصالحة للزراعة، دارفور نصف مساحة مصر.

- **حضرتك متفائل من الوضع في دارفوار؟**

- أنا قلق شديد القلق، أنا أخشى أن يستطيع الاستكبار العالمي، كما كان يقول خميني، أن يسيطر على الوضع في السودان، ولو سيطر على الوضع في السودان فقل على مصر السلام، الطريق الوحيد الذي يربط مصر بإفريقيا، هو درب الأربعين الذي يبدأ من دارفور وينتهي في أسيوط، إذا استطاع الاستعمار أن يقطع هذا الطريق، أصبحت مصر خارج إفريقيا، تصبح مثل شبه الجزيرة يحيطها البحران المتوسط والأحمر والنيل يمشي بداخلها، يستطيع المستعمر إذا تحكم في السودان أن يقطع النيل في أي وقت، طبعًا إيقاف نهر النيل ليس أمرًا سهلًا، لكن إذا تمكن الاستعمار العالمي من السودان فمصر على خطر عظيم.

العمق الإستراتيجي لمصر هو السودان، بحيرة فيكتوريا ومنابع النيل، هذا هو العمق الإستراتيجي لمصر، والذي يجب أن يحميه أي حاكم مصري، ويجب أن يضع عينه عليه أي جيش مصري، ويجب أن يراقبه أي رجل أمن مصري، ومن يقصر في هذا مثل من يقصر في رقابة إسرائيل، من لا يراقب إسرائيل ويستعد لها ومن لا يحضر جيشه لإسرائيل، يكون مقصرًا في حق الوطن، وكذلك من يقصر في مراقبة منابع النيل ولا يحضر جيشه لحمايتها يكون مقصرًا في حق الوطن.

الحلقة الثالثة

- الجهاد واجب على كل مسلم ومسلمة ردًّا للعدوان، وفي حالة عدم العدوان علينا لا يجب الجهاد.. وكتاب الشيخ القرضاوي «فقه الجهاد» مرجع جامع في المسألة.
- الجهاد في الفتوحات الإسلامية كان بهدف إزالة العوائق من أجل تبليغ الدين.. الآن لدينا ملايين الوسائل لإبلاغ الدعوة.. فسقط الجهاد من أجل التبليغ.. بقي لنا جهاد رد العدوان وهو الجائز الآن.
- عندنا جريمة اسمها جريمة الردة.. نعم، عندنا عقوبة اسمها حدّ الردة.. لا.
- يجب أن تكون البطاقة الشخصية معبرة عن الحالة الدينية الحقيقية للإنسان في جميع مراحله.
- مصر لا تعترف ولا ينبغي أن تعترف بالديانات غير السماوية.. نعترف بالإسلام والمسيحية واليهودية فقط.
- لا حوار بين الأديان. إنما يكون الحوار بين أهل الأديان.. نحن نتحاور حول مسألة واحدة.. كيف نعيش معًا؟
- مكة والمدينة مدينتان مقدستان لا يجوز أن يكون فيهما دين آخر.
- بابا الفاتيكان قال كلامًا سخيفًا عن الإسلام، ولم يقدم اعتذارًا ولا ترضية.. لذا أوقفنا الحوار معه.
- الأقباط والمسلمون إخوان في هذا الوطن منذ دخل الإسلام وإلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض.

- **تحدثنا في اللقائين السابقين عن أمور مختلفة لكن كنا على وشك الدخول في الفقه المعاصر. حضرتك لك كتاب منذ أكثر من عقد من الزمان «الفقه الإسلامي على طريق التجديد أو في طريق التجديد» بعد ١١ عامًا أين وصل الفقه الإسلامي؟**

- (الفقه الإسلامي في طريق التجديد) هذا الكتاب له قصة، كنا في مؤتمر في مالطا، فقام أحد الأساتذة الكبار – رحمه الله – واتهم الفقه الإسلامي بأنه فقه جامد متخلف لا يواكب العصور الحالية، وأنه منذ أن أُقْصِيَ الفقه عن العمل اليومي للناس والقضاء أصبح يعتمد على القوانين المستوردة، الفقهاء ماتوا ولم يستطيعوا أن يقدموا جديدًا، وكنت في القاعة، أحد المستمعين، فدونت بسرعة على الورقة التي كانت في يدي مجموعة من المواضيع التي جدد الفقهاء المسلمون المعاصرون فيها آراءهم تجديدًا هائلا، يصل في بعض الأحيان إلى مخالفة تامة لما قاله الأقدمون، بأدلة شرعية من القرآن والسنة قُرئت قراءة جديدة، فُسرت تفسيرًا جديدًا ففهمت فهمًا جديدًا إلى آخر ما يجري عند تجديد الفقه؛ وفي التعقيب قلت هذا الكلام.

ونحن في العشاء قال لي بعض إخواني: أين دونت هذا الكلام؟ وهو لم يكن سوى الذي جاء في بالي في أثناء المحاضرة فحاولوا أن يقنعوني بتدوينه.. وحالت بيني وبين ذلك الظروف والأحوال، والانشغال بالأعمال الأخرى، فلم أستطع أن أستجيب لفكرتهم في ذلك الوقت، ومرت ثلاث سنوات قرأت الكلمات نفسها لأحد الكتاب الدائمين في إحدى الصحف المصرية، يتهم الفقه الإسلامي بذات الاتهامات وكأنه حضر تلك المحاضرة وسمع ذلك الأستاذ الجليل يقول هذا الكلام.

أنا لست ممن ينشغلون بالرد على أحد، أنا لا أرد على أحد أبدًا، وتعلمت من زمان أن أنشغل بما أفعل وأترك الآخرين، كل ميسر لما خلق له، وبدلا من أن أنشغل بالرد على هذا الكاتب في إحدى الصحف المصرية الكبرى انشغلت بإنشاء كتابي (الفقه الإسلامي في طريق التجديد)، ولكي أتمكن من إنجازه كتبته في صورة فصول كنت أنشر فصلا أسبوعيًا في جريدة الأسبوع بعنوان «أسبوعيات»، فكتبت النسخة الأولى من هذا الكتاب في فصول هذه المقالات تحت هذا العنوان، عنوان رئيسي (الفقه الإسلامي في طريق التجديد) ١ إلى ٤٠ إلى أن اكتملت المادة الأولى للكتاب، ثم بدأت أنقحه وأصدرته سنة ١٩٩٨.

وتعمدت فيه أن أرصد المواضع التي جدد الفقهاء المعاصرون فيها النظرة الإسلامية إلى أمور كانت النظرة الإسلامية الفقهية فيها قديمًا مختلفة، من السياسة إلى المرأة إلى تربية الأولاد إلى الطب والعلاج والتأمين إلى كل هذه الأمور، وأصبح الآن أكثر من خمسين فصلًا في الطبعة الثالثة والرابعة الآن؛ لأني أضيف ما أقف عليه من تجديدات.

فوجئت وأنا أعمل في هذا الكتاب بأن التجديد ليس قاصرًا على أهل السنة، بل كل المذاهب الفقهية تجدد، الشيعة يجددون والإباضية يجددون والمسلمون السنة الحنابلة والشافعية والأحناف كل المذاهب تجدد، لكن هذا التجديد لا يُرى أثره في الحياة، لأنه يبقى مكتوبًا في الكتب أو منطوقًا في المحاضرات والفتاوى، وسبب عدم رؤية أثره في الحياة، هو أن الفقه الإسلامي لا يحكم حياة الناس، إذن الدعوة إلى التجديد مرتبطة بالدعوة إلى الاستعمال، بالدعوة إلى الإعمال والتطبيق.

فانشغلت في الطبعات التالية للطبعة الأولى بما يتعلق بالتطبيق أيضًا، وأصبح الكتاب في صورته الحالية محاولة لرصد مواطن التجديد الرئيسية في الفقه الإسلامي «السياسي والجنائي والمالي والأسري والتربية ونظم التأمين

والعلاقات الدولية»، مثلا فقه العلاقات الدولية، عندنا مشاكل ضخمة فيه، حُلَّتْ بالتجديد الذي حدث في مسائل مثل دار الإسلام ودار الحرب والمسائل المتعلقة بعلاقة المسلمين بغير المسلمين وهكذا.. مشكلة ولاية المرأة وهل تتولى أو لا تتولى مسئولية عامة، بوجه العموم، وسياسية على وجه الخصوص؟ جرى في هذه المسألة تجديد هائل في كل المذاهب السنية والشيعية ولا يشعر به أحد، فأردت أن أنقل إلى المثقف المسلم المعاصر الصورة الحقيقية لما عليها جهود تجديد الفقه، وليس الصورة التي يقرأها في المقالات المستعجلة في الصحف والمجلات.

- **إلى بعض المفاهيم التي يحدث فيها التباس لدى المثقفين والعامة وربما بعض المختصين لأن هناك آراء صِدَامية في هذا الموضوع، وكل يعتمد على ما يرى أنه فقه صحيح.. كيف ترى حضرتك قضية أو مفهوم مثل الجهاد.**

- مفهوم الجهاد مفهوم أصيل في الإسلام، وهو أحد مفاهيم الإسلام الرئيسة، حتى سماه النبي ﷺ ذروة سنام الإسلام، يعني هو من الإسلام بحسب الأصل، ولكن لا يمكن أن يتصور أن الجهاد هو الإسلام كله، الجهاد جزء من الإسلام مثل ما تفضلت أحد مفاهيمه.. ما هو مفهوم الجهاد؟ مفهوم الجهاد ألا يقبل المسلم الضيم أو المذلة، وألا يقبل لدينه أن يهان أو يهاجم أو يحارب وهو صامت، فإذا وقع شيء من هذه الأشياء، فعليه أن يجاهد أولا بقلبه ثم يجاهد بلسانه ثم يجاهد بسنانه إذا لم يكف القلب ولا اللسان، والجهاد بالسنان لا يكون إلا إذا كان دفعًا لعدوان، ولا يمكن أن يكون عدوانًا ابتداءً وإلا لا يكون جهادًا يكون عدوانًا والله تبارك وتعالى لا يحب المعتدين، ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ [البقرة:١٩٠] هذا نهي عن العدوان، فالجهاد ابتداء، جهاد العدوان، غير موجود.

ومن أفضل وأوسع ما كتب في الجهاد، كتاب أخينا العلامة الدكتور يوسف القرضاوي وعنوانه «فقه الجهاد» وهو دراسة مقارنة لأحوال الجهاد وشروطه وأحكامه الفقهية وتاريخه في مجلدين كبيرين، صدر قبل وقت قصير(١) في القاهرة والدوحة في وقت واحد، وهو مرجع جامع لمسألة الجهاد، وفيه ردود مهمة على الذين يرون أن الجهاد واجب على كل مسلم ومسلمة عدوانًا، وبيان هذا غير صحيح، فالجهاد واجب على كل مسلم ومسلمة ردًا للعدوان.

ولذلك فإن العلماء قالوا: «إذا ديست أرض المسلمين» ـ مثل الصهاينة حاليًا في إسرائيل ـ إذا دخل العدو بلاد المسلمين، وجب الجهاد على كل مسلم ومسلمة سواء أكان رجلا أم امرأة أم طفلا، وعندما كان هناك رقيق كان العبد يخرج بغير إذن سيده، والمرأة بغير إذن زوجها، والشاب أو الفتى بغير إذن وليه، إذا ديست أرض المسلمين: يعني إذا اعتدي علينا، لكن في حال عدم العدوان علينا لا يجب الجهاد.

- **وماذا عن فكرة الفتوحات؟**

- الفتوحات كانت لنشر الإسلام، بمعنى لو تركتمونا ننشر الإسلام بين الناس لا نمسَّكم، وهذه واقعة ثابتة مشهورة ومروية بالأسانيد الصحيحة، عندما دخل المسلمون بلاد فارس، وقفوا قبل الحرب وطلب الفُرسُ مناقشتهم، فذهب رِبْعي بن عامر ـ أحد قادة جيش المسلمين ـ منتدبًا من الجيش لمناقشة قائد جيش الفرس، فقابله رستم قائد الجيش الفارسي وقال لربعي إذا أردتم مالًا نمدكم به، أو طعامًا نعطيكم إياه لأن العرب في الجاهلية كانوا يلجئون إلى الفرس والروم إذا جاعوا ليأخذوا كميات من الأموال والقمح، كما يحدث الآن نذهب لأمريكا وروسيا وأستراليا نستجدي منهم المعونة ويأتي لنا القمح (معونة) مليئًا بالحشرات.

---

(١) صدر في القاهرة عن مكتبة وهبة سنة ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م، وصدر في قطر في السنة نفسها عن مركز القرضاوي للوسطية والتجديد بمؤسسة قطر، وهو في مجلدين كبيرين.

العرب كانوا يعيشون على هذه المعونات الفارسية والرومانية، وكان ولاؤهم مقسومًا قبل الإسلام بعضهم للفرس وبعضهم للروم، فقال له قائد الفرس: إذا كنتم تحتاجون مالا أو طعاما نمدكم بها، فقال له رِبْعي بن عامر لا نريد أي شيء من هذا، ثم قال له جملة هي دستور الجهاد المبتدأ ـ جهاد الطلب ـ في الإسلام، قال له: «إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار، فإن خليتم بيننا وبين الناس تركناكم وما أنتم فيه» يعني حكامًا وقياصرة وملوكًا وأمراء وقواد جيوش ولن نقترب منكم «وإذا منعتمونا قاتلناكم حتى يظهرنا الله عليكم».

إذن نحن لا نقاتل الناس لأننا نحب قتالهم، إنما نقاتلهم لأنهم يَحُولونَ بين بقية الخلق وبين أن يسمعوا كلام الله، بينما نحن ديننا يأمرنا إذا استجارك المشرك يعني طلب منك أن تحميه الجوار هو طلب الحماية، يأمرنا ديننا أن نجيره ونحميه حتى يصل إلى مكان يأمن فيه من العدوان عليه، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة:٦]، فمهمتنا هي التبليغ، وأنت منعتني من التبليغ، وأوقفت لي الجيش على الحدود، وقلت لي لو دخلت سأحاربك، إذن سأحاربك أنا أيضًا، هذه هي فكرة الفتوح.

ولذلك البلاد التي لم يدخلها المسلمون بالفتح ودخلها الإسلام بالتبليغ والدعوة كثيرة جدًّا، فكل إفريقيا ليس فيها فتح، إفريقيا السوداء إفريقيا جنوب الصحراء كلها ليس فيها فتح، كل آسيا (الهند وباكستان والصين وماليزيا وأندونيسيا)، كل هذه الدول انتشر بها الإسلام عن طريق التجار، ثم الصوفية بعد ذلك، انتشر بالتبليغ.

فالإسلام دين تبليغ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، إذا الناس وقفوا في وجهي فمعنى العصمة المذكورة في الآية يتحقق بأن أقاتلهم، حتى أصل

إلى الآخرين، فهذه هي فكرة الفتوح، الجهاد جزء من الإسلام وليس كل الإسلام، والجهاد في الإسلام مشروع لرد العدوان وليس للعدوان على الناس، الجهاد في الفتوح كان لتبليغ الدعوة، للسماح بإزالة العوائق دوننا ودون تبليغ الدعوة.

الآن لا نحتاج إلى جهاد الدعوة أصلًا، لأن الفضاءات مفتوحة والسماوات مفتوحة والإنترنت موجود وقناتك هذه يستطيع الناس رؤيتها في أي مكان في العالم، فنستطيع بملايين الوسائل أن نبلغ الدعوة، فسقط الجهاد من أجل التبليغ أصلًا، لا نحتاجه ولا نريده ولا يجوز، ومن يقل به الآن مخطئ، لأن التبليغ الآن ممكن بلا صعوبة، وقائم من غير الجهاد، بقي لنا جهاد الدفع جهاد رد العدوان وهو الجهاد الجائز الآن.

- **حضرتك سبقت إلى سؤال تالٍ.. المسلمون كأقليات في بلاد مثل الصين وتايلاند؟ في بعض الدول التي بها أغلبية بوذية كونفوشيوسية أو كذا.. عندهم تصور أن أسلمة هذه الجغرافيا، أسلمة هذا المكان، واجبة فيدخلون في صدامات، أو تصورهم للجهاد أن عليهم أن ينطلقوا في هذه الجغرافيا بلا حدود.. ما هو رأي حضرتك في هذا التصور؟**

- هذا التصور غير صحيح، لكن أيضًا وصفك للواقع فيما يتعلق بالصين بالذات يحتاج إلى مراجعة، لأننا تابعنا الحالة الصينية في الشهور الأخيرة[1]، ومنذ وقت الدورة الأوليمبية التي عقدت في الصين في سنة ٢٠٠٨، هناك عدوان مستمر على الجزء الذي يسمى تركستان الشرقية، والذي سمته الصين «شينج يانج»، ونقلت إليه أكثرية صينية بوذية تزاحم الأكثرية المسلمة التي موطنها الأصلي هذا الإقليم، وتحاربهم وتشاغبهم طول الليل والنهار.

(١) المقصود ما حدث من وقائع الاعتداء على المسلمين ومساجدهم في غضون عام ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

ومنذ ما يقرب من شهرين ـ في يوليو الماضي ـ حدثت الأزمة الكبرى التي مات فيها أكثر من مائة شخص وجرح فيها أكثر من ١٨٠٠ واحد، وأغلقت المساجد يوم الجمعة ومنعت فيها الصلوات خوفًا من الصدامات، وكان سبب هذه الأزمة أن المجموعة الصينية التي سكنت في هذا الإقليم قتلت عاملًا مسلمًا بغير سبب وبغير عدوان، قتلته بدم بارد في الشارع، فالمراد من المسلمين في هذه البلاد أن يكونوا أذلاء، وفي الحديث «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه»، فنحن لا نقبل للمسلمين الذلة ولا نرضى لهم هذا.

أما أن يتصوروا هم أن من واجبهم نشر الإسلام في هذا الفضاء بالسلاح والسنان وبالقوة والأعمال الإرهابية فهذا لا ينشر الإسلام، هذا يضر بالإسلام، فالذي ينشر الإسلام هو الحكمة والعلم والعدل والعمل الطيب والوفاء بالعهد وصدق الخلق.

القصة المشهورة التي دخل بها أهل الحيرة[1] كلهم في المسيحية بسبب وفاء رجل واحد.

ملك، عنده يوم يخرج فيه للصحراء ويسميه يوم (النُّعمى) الذي يأتيه يأخذ من نعميه ما شاء، ويوم اسمه يوم (البؤس) أول واحد يراه في هذا اليوم يقتله، فخرج في يوم البؤس وجاءه رجل وجد خيامًا منصوبةً معروفٌ أنها لا تكون إلا خيام قوم أغنياء أو ملوك، أو أمثالهم من الذين يحتكرون ـ في زمننا ـ التجارة أو الصناعة أوالحديد أوالأسمنت(!)، فذهب الرجل إلى خيمة الملك وقال له: أنا ضيفك، فقال له الملك: إن هذا يوم بؤسي فلابد أن أقتلك(!) فقال له الرجل أنا أريد الطعام فقط لماذا تقتلني؟ في النهاية قال له الرجل: لكن أنا شريف في قومي وعندي أمانات لابد أن أؤديها فأجلني إلى يوم بؤسك من العام القادم، فقال له الملك أنت رجل بدوي تسير في الصحراء كيف أضمن عودتك؟ أريد ضامنا يضمن لي مجيئك في العام القادم، فقام

(١) مدينة على حدود الشام والعراق.

رجل من حاشية الملك وقال للملك أنا ضامنه، فقال له الملك إن لم يأت في العام القادم سأقتلك مكانه، وأطعموه وتركوه يذهب إلى العام القادم.

وفي العام التالي خرج الملك ومعه حاشيته وأخذوا ينتظرون الرجل، ومر الوقت وأيقن هذا الضامن أنه مقتول، إلى أن أوشكت الشمس على المغيب وجدوا شبح إنسان قادم، فإذا هو الرجل، فلما جاء أتوا به للملك وقال له أنا مستعد لتنفيذ القرار الذي اتخذته العام الماضي، فقال له الملك ماذا جاء بك، فقال الرجل أنا وعدتك، فسأله الملك ما حملك على الوفاء بوعدك قال الرجل ديني(!) فقال له الملك ما دينك قال النصرانية، فسأل الملك الضامن ما حملك على أن تضمنه وهو قد لا يأتي فتقتل أنت؟! فقال الضامن كرهت أن يقول الناس إن حاشية الملك ليس فيها رجل عنده نخوة ومروءة، فأحببت أن أرفع رأسك وأكبرك وأقول إن رجالك بهم نخوة ومروءة، فضمنته، حتى لو ضحيت في سبيل ذلك بنفسي. ثم سأل الملك الرجل البدوي عن دينه فأخذ الرجل يقول له عن النصرانية، فتنصر الملك وتنصر أهل الحيرة كلهم أجمعون.

فإذا أراد المسلمون أن ينشروا الإسلام عليهم أن يسلكوا هذا السلوك، عليهم أن يكونوا أحسن الناس في الصناعة، وأحسن الناس في التجارة، أصدق الناس في الكلمة، أوفاهم بالعهد، أكثرهم تفوقا في العلم، فإذا سئل أحدهم ما يحملك على هذا؟ يقول ديني. أكثرهم إباءً للضيم أكثرهم شجاعة في مواجهة العدو فإذا ووجه أحدهم بالسؤال: ما الذي حملك على هذا يقول ديني فإذا رأى الناس منا ذلك دخلوا في الإسلام، أما أن يكون نشر الإسلام بفتنة الناس في دينهم أو بقتلهم أو بتفجيرهم فهذا ليس جهادًا، وهذا ينفر ولا يبشر ويُبَغِّض في الدين ولا يحبب فيه.

- **لا عدوان ولا مذلة..**

- لا عدوان ولا مذلة فهذان الأمران ممنوعان، العدوان نرده والمذلة لا نقبلها من كائن من كان.

- **المسلمون والمرتدون.. يعني تكلمنا عن مسلمين مع آخرين لا يعتنقون هذا الدين، ماذا لو أن بعض المسلمين دخلوا في دين آخر، ما هو موقف المسلمين الأولين من المسلمين الآخرين؟**

- قصدك المسلمون الأولون من المسلمين السابقين الذين اعتنقوا دينًا آخر فأصبحوا سابقين، الكتب التقليدية الفقهية التراثية كلها تقول عندنا جريمة اسمها جريمة الردة، وهذا كلام صحيح، وتقول أيضًا عندنا عقوبة واجبة التطبيق التي اسمها في الفقه الإسلامي الحد اسمه «حد الردة»، وهذا الكلام غير صحيح. عندنا جريمة نعم، والقرآن حرمها في ١٣ آية، والنبي، ﷺ، أمر بقتل المرتد أو أباح قتله وهذا يعني أن هناك جريمة. نأتي للعقوبة ليس في القرآن آية واحدة تدل على عقوبة المرتد، وإنما النبي ﷺ، عندنا عنه عدة نصوص رءوسها أو أصولها نصان، أحدهما يقول: «من بدل دينه فاقتلوه» والثاني يقول: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث الثيب (أي الرجل المتزوج) الزاني ورجل قتل نفسًا فيقتل بها، ورجل خرج عن الجماعة وقاتل المسلمين فإنه يقتل» فهذا حديث تفصيلي والثاني حديث إجمالي.

العلماء المحققون قالوا إن الإجمالي: «من بدل دينه فاقتلوه» يحمل على الثاني أنه خرج مقاتلا لله ورسوله، خرج مرتدًا وحارب الله ورسوله، الروايات مختلفة، خرج مقاتلًا جماعة المسلمين بسيفه، خرج فلحق الكفار وقاتل المسلمين بسيفه كل هذه روايات مختلفة مفصلة يحمل عليها المجمل وهو (من بدل دينه فاقتلوه)، ما معنى يحمل عليها بمعنى إذا بدل دينه وقاتلكم فاقتلوه، شرط قاتلكم متضمن هناك، متضمن لأن كلام النبي، ﷺ، لا يتناقض لو قلنا بتناقض الكلام الصحيح للنبوة لقلنا بتناقض الدين، ولكي لا يتناقض يفهم النص المجمل في ضوء النص المفصل أو المفسر، فهذا النص المجمل «من بدل دينه فاقتلوه» مجمل يشمل أي تبديل للدين، بما فيه أن أكون مسيحيًا فأسلم هل أكون بدلت ديني فيقتلونني؟ لماذا استثنوا الإسلام؟ استثنوه بذلك الحديث أن يخرج مقاتلًا جماعة المسلمين أو يخرج محاربًا الله ورسوله.

الحقيقة أن جريمة الردة جريمة قائمة في الإسلام، عقوبتها تعزيرية، يعنى ليست حدًا ولا قصاصًا، غير واجبة وجوبًا حتميًا، بل يجوز للقاضي، بعد أن يدرس الظروف ويسمع المتهم ويسمع دفاعه ويسمع من شهدوا عليه بالردة، أن يقدر نوع العقوبة: يحبسه، يغرمه، يعزله من وظيفته، يمنعه من التدريس في الجامعة، إذا كان مدرسًا في الجامعة، كما حدث في قضية شهيرة منذ وقت قريب، لكن يقتله هذه مسألة أخرى، لكي يقتله يجب أن يكون قد خرج على الأمة الإسلامية وانضم إلى عدوها وقاتل ضد المسلمين، أي ارتكب جريمة نسميها حاليًا «الخيانة العظمى» أو الالتحاق بجيش العدو، ويوجد في قانون العقوبات المصري عدة نصوص في مواد الثمانينيات منه تتحدث عن الالتحاق بجيش العدو وعقوبتها جميعًا الإعدام، لأنها تتحدث عن الخيانة العظمى، فعقوبتها في الإسلام الإعدام لأنها خيانة عظمى، لكنها غير من ارتد ردة سلمية أو شخصية، واحد ارتد وبقي في بيته، أو واحد ارتد وردته مقصورة على نفسه هذا لا يقتل، وإنما يعاقب عقوبة تعزيرية يقدرها القاضي بحسب الظروف والأحوال.

- **ماذا إذا ارتد ولم يقاتل ولكنه بشر ودعا إلى الدين الجديد؟**

- هذا يعاقب عقوبة تعزيرية أيضًا، لأنه لا يجوز له أن يخالف النظام العام في الإسلام، هناك نظام عام في الإسلام أنك لا تفتن المسلمين في دينهم، والقرآن يقول ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أي الفتنة في الدين، ويقول ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ وهذه كذلك هي الفتنة في الدين، فلا يجوز أن تفتن الناس.

عندنا مشكلة قائمة في مصر قريبًا ومازالت في المحاكم بعض القضايا منها، وهي مشكلة هؤلاء الذين دخلوا في الإسلام لأسباب أغلبها، في الحقيقة، متعلق بالزواج أو التطليق بالنسبة للمسيحيين المصريين، ثم انتهت المشكلة التي من أجلها خرج للإسلام من المسيحية، ويريد أن يعود ثانية للمسيحية. فكان عندما يعود للمسيحية مرة ثانية ترفض وزارة الداخلية أن تكتب له

ديانة في خانة الديانة في بطاقته الشخصية أو العائلية ويتركونها خالية. أو ترفض أن تستخرج له بطاقة بتغيير الدين للمرة الثانية وتقول له بطاقتك المثبتة لإسلامك تعيش بها حتى الموت.

هؤلاء رفعوا قضايا أمام المحاكم، وقد وجدتُ أن حل هذه المسألة يكون كالآتي: يكتب دين الإنسان الذي ولد عليه، فإذا غيره تغير البطاقة ويكتب «مسيحي ـ مسلم حتى تاريخ كذا» أو «مسلم ـ مسيحي حتى تاريخ كذا» وهو تاريخ خروجه من دينه الأصلي إلى دينه الجديد.

وإذا رجع عن هذا الدين مرة أخرى، أي ولد مسيحيًا ثم دخل الإسلام ثم عاد إلى المسيحية مرة أخرى، يكتب في البطاقة «مسيحي ـ مسلم من تاريخ كذا إلى تاريخ كذا والديانة الحالية مسيحي»، وهذا يقتضي زيادة خانات الديانة في البطاقة الشخصية، وهو أمر يسير يجعل البطاقة معبرة عن الحالة الدينية الحقيقية للإنسان في جميع مراحل حياته.

بقي الذين لا يعترف بديانتهم حاليًا وهم أصحاب ديانات غير سماوية، فمصر لا تعترف ولا يجوز أن تعترف، ولا نقبل نحن أن تعترف، إلا بالأديان السماوية فقط، وهي اليهودية والمسيحية والإسلام، ما عدا ذلك أديان عند أهلها لكنها ليست أديانًا معترفًا بها في مصر، ولا يجوز أن يعترف بها، وهؤلاء يجب أن نضع لهم ـ في خانة الديانة في بطاقتهم الشخصية ـ شرطة، حتى إذا تقدم لخطبة ابنتي أعرف أنه لا يعتنق دينًا، وعندما يتوفى أعلم أنه ليس بيهودي أو مسيحي أو مسلم، فلا يدفن في مقابرهم، عندما تحدث واقعة ميراث منه لأحد أنظر في اختلاف الدين، لأنه لا توارث بين أهل ملتين، لا يجوز أن يرث المسيحي المسلم أو المسلم المسيحي، إذا كان الذي يرثه من ملته أورِّثُه أما إذا كان من ملة أخرى فلا أورثه.

عندما كتبت هذا الحل شرح الله له صدر المحكمة الإدارية العليا فحكمت به في حكم شهير لها قضت به على حوالي ٤٠٠ قضية من هذا النوع، وبذلك

نكون قد قلنا الحق في مسألة الردة وأنها جريمة، وقلنا الحق في مسألة العقوبة وأنها تعزير لا تطبق إلا على من ارتكب جريمة أخرى في حق المسلمين، إما قاتل ضدهم، وإما بشَّر بالديانة التي انتقل إليها ليفتن الناس في دينهم.

حق الإنسان لا يجوز أن يهان، أولا يجوز أن لا يصان، فحق الإنسان أن يكون له هوية (بطاقة شخصية) إذا تقدم إلى وظيفة يعمل بوصفه الحقيقي؛ لأن مهمة هذه البطاقة أن تريني وصفك هل أنت مسلم أم مسيحي أم يهودي أم لا ملة لك؟!

فإذا لم تعبر بطاقة هويتك عن الوصف الحقيقي تكون هذه البطاقة كاذبة ومزورة ومضللة، فحتى لا نقع في هذا التضليل نكتب في البطاقة الحالة الحقيقة للإنسان.

بالتالي فإن من يريد أن يرتد فليرتد يلقى الله بردته، وسيكتب له دينه الجديد ويكتب له أنه كان في الأول دينه كذا. الأخ الذي يريد أن يعود عن الدين الذي خرج إليه سيعود، وسيكتب هذا في بطاقته كل أديانه وهذا حقه، بل هذا واجب الدولة.

وبالتالي مشكلة الردة في المجتمع المعاصر هي في الواقع مشكلة مفتعلة، فلا توجد أي دولة في العالم الإسلامي تطبق حد الردة، ولا دولة، لا يوجد أحد يقتل المرتد أصلا..

- **نهائي؟**

- نهائي لا أحد يقتل المرتد أصلا.

- **هل في كل النظم التي قالت بالإسلام أو لم تقل؟**

- لا أحد يقتل مرتدًا نهائيًا، هناك من قتلوا على الخيانة لأنهم تجسسوا هذا موضوع آخر، الجواسيس يقتلون، وأنا أتمنى أن يقتل جميع الجواسيس في مصر، يا رب كل ما يجدوا جاسوسًا يقتلوه، أنا أتمنى هذا، لكن هذا جاسوس وليس مرتدًا،

هذا موضوع آخر، لكن على الردة لا يقتل أحد في الدول الإسلامية الآن. ما هذه الضجة؟ إذن الضجة مقصود بها الحكم الإسلامي الأصلي لأنكم لم تفهموه. حكم الإسلام الأصلي لابد من الأخذ بالحديثين معًا «من بدل دينه فاقتلوه» الحديث المجمل ومطلق وغير مقيد وبين حديث أن القتل لا يكون إلا لمن خرج محاربًا الله ورسوله وجماعة المسلمين. هذان الحديثان يجب أن يتزاوجا ونتيجة هذا التزاوج يخرج المعنى النهائي هذه هي فكرة الردة.

- **التعزير للمرتد والقتل للخيانة العظمى..**

- نعم القتل للخيانة العظمى

- **إلى موضوع مثير أيضًا، المسلم والآخر سواء أكان هذا الآخر مذهبيًا أم كان من دين آخر، سواء كان هذا الآخر على المستوى العالمي الإسلام والمسيحية في العالم أو على المستوى الإقليمي الإسلام والمسيحية في العالم العربي، أو المستوى المصري المسلمون والأقباط.**

- كأنك تريد الحديث عن موضوع حوار الأديان، وأنا ابتداءً أسميه الحوار بين أهل الأديان وليس بين الأديان، لأن الأديان في نظر معتنقيها مسلمات مطلقة، أنا مسلم فالإسلام في نظري أمر صوابه مطلق لا يحتمل الخطأ، وبالتالي لا حوار حول الإسلام، المسيحي في نظره المسيحية حقيقة مطلقة لا تحتمل الخطأ، وبالتالي لا يجوز أن يكون هناك حوار، عنده، حول المسيحية، وهو الأمر نفسه عند اليهودي والبوذي والدرزي والبهائي، والذي ليس له دين أيضا يعتقد أن كفره حقيقة مطلقة لا تحتمل الحوار أو النقاش، أما الذي يجوز أن يتكلم فيه المسيحيون والمسلمون والمسلمون واليهود، فهو ما أسميه حوار الحياة، نحن نتحاور حول مسألة واحدة وهي كيف نعيش معًا؟ هل نعيش معًا في صراع وقتال دائمين يتربص كل منا بالآخر، حتى إذا وجد منه فرصة اقتنصها فاغتاله أو قضى عليه، أم نعيش في تعاون لكي نعمر هذه الأرض ونستفيد جميعًا من خيراتها، التي تكفينا كلنا، إذا انتفى الجشع والطمع وحب

الاستئثار بالخيرات، تكفي كلها، لأن الله لم يخلق الناس ليتركهم سدى وعبثًا أو ليموتوا جوعًا، إنما خلق لهم ما في الأرض جميعًا ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩] يعني تفضلًا ومنّة منه سبحانه وتعالى، نحن استأثر بعضنا ببعض خيرات الأرض، وتركوا بقية شعوب العالم في هذا الفقر.

فنحن نتحاور مع أهل الأديان الأخرى حوار الحياة، وليس حوار الدين أو اللاهوت، لأن إخواننا المسيحيين يحبون كلمة اللاهوت، لأن حوار الحياة معناه كيف نعيش، حوار اللاهوت دينك خطأ وديني هو الصحيح، أو ديني صواب ودينك خطأ، هذا لا يوصل إلى نتيجة، بل يصل لنتيجة هي الصراع، ونحن لا نريد الصراع نحن نريد الوئام.

عندما أسسنا الفريق العربي للحوار الإسلامي ـ المسيحي سنة ١٩٩٥، من مجموعة من المشتغلين بالعمل العام في مصر ولبنان وسوريا والأردن والإمارات وبعض الدول الأخرى، اتفقنا على أن يكون هذا هو منهجنا وأصدرنا وثيقتنا الأولى بعنوان «العيش المشترك أو العيش الواحد» وقلنا فيها إن هدف هذا الفريق هو حوار الحياة، والنتيجة التي يصل إليها هذا الحوار داخل الوطن الواحد هي العيش الواحد، وداخل الأوطان المختلفة العيش المشترك، يعني أنا أعيش مع المسيحيين المصريين وهم يعيشون معي هذا عيش واحد، والعرب المسلمون والمسيحيون يعيشون مع بعضهم البعض عيشا واحدا، لكن كلا من العرب المسيحيين والمسلمين يعيشون مع العالم الأوربي والأمريكي والأسترالي والكندي والآسيوي والإفريقي عيشا مشتركا.

الفرق بين العيش الواحد والعيش المشترك، هو أنه في العيش الواحد أنا أحتمل منك ما لا أحتمله من نظيرك في العيش المشترك، أنت تقبل منى في العيش الواحد ما لا تقبله من نظيري في العيش المشترك، ففي العيش الواحد ليس بيننا كرامات، وإنما بيننا أخوة وتعاون، وأتنازل لك وتتنازل لي، وأفسح

لك الطريق وتفسحه لي، لأننا عائلة واحدة، هذه العائلة يحمل بعضها بعضًا، ويتحمل بعضها بعضًا، ويعين بعضها بعضًا، ويعضد بعضها بعضًا، لكن في العيش المشترك نحن نتقاسم خيرات الحياة، فإذا زاحمتني في الخيرات التي أملكها لا أقبل منك، إذا منعتني حقي فيها لا أقبل، فهنا في العيش الواحد علاقات مودة وأخوة معيارها قول الله تبارك وتعالى ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨]، وهناك علاقات عيش مشترك معيارها ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود:٦١]، فأنا هل سأؤدي واجبي في عمارة الأرض أم سأتنصل.

إذا أنا أديت واجبي في عمارة الأرض أكون قد أطعت الله في هذا الجانب، وإذا أخفقت في تحقيق واجبي، كما هو حال الدول الإسلامية عامة اليوم، وحال أغلبية المسلمين اليوم في العالم أنهم مخفقون في تأدية واجب العمارة ويعيشون عالة على غيرهم، والذي لا يؤدي واجبه في عمارة الأرض عاصيا لله تبارك وتعالى في هذا الأمر، فإذا أردت أن أؤدي واجبي في عمارة الأرض فتأتي بريطانيا أو فرنسا وتستعمرني، أو تقول لي أمريكا لا تزرع قمحا ولا ذرة ولا شعيرا، كما قال لي بعض الحكام العرب، إنهم منعوه من زراعة الشعير في بلده، وعندما زرع شعيرا دون إذنهم ضربوا بيتا من بيوته بالطيران!

فإذا وقع هذا فلابد أن أدافع عن نفسي، لابد أن أقف في وجه هذا الذي يحاول أن يمنعني من عمارة الأرض، وأقول له هذا ليس حقك، إذا فمعيار العيش المشترك يختلف عن معيار العيش الواحد، أنا في العيش المشترك حدي هو حقي وحدُّك هو حقك، أما في العيش الواحد فقد أترك بعض حقي وقد تترك بعض حقك لأن الهدف هو أن تمشي هذه السفينة في هذا البحر، إلى أن تصل إلى بر السلامة، بينما في العيش المشترك الهدف هو أن يحصل كل ذي حق على حقه دون أن يعتدي عليه أحد.

- **سافرت إلى أوربا أكثر من مرة، وذهبت إلى الفاتيكان ربما أكثر من مرة أيضا والكنيسة البريطانية زرتها، ماذا في أوربا أو في المسيحية الأوربية؟**

- المسيحية الأوربية ليست لونًا واحدًا وإنما ألوان كثيرة، ربما كانت بعدد المسيحيين الأوربيين، لأن سلطان الكنيسة قل جدًّا في أوربا ولم يعد كما كان في العصور الماضية، لكن هناك فارقا أساسيا بين الحوار مع الفاتيكان وبين الحوار مع الكنيسة البروتستانتية الإنجليزية. أو الكنائس البروتستانتية الأمريكية التي نحاورها كثيرًا.

ففي الحوار مع الفاتيكان أنت تتحاور مع مؤسسة لها مطالب وأهداف محددة، جميع الحوارات مع الفاتيكان مثلا كان الكلام فيها عن حق بناء الكنائس في كل بلاد الإسلام، ويصرون على أن يذكروا مكة والمدينة وليس المملكة العربية السعودية، لماذا لا نبني كنيسة في مكة أو المدينة، وعندما ننقل الحوار بأن مكة والمدينة مقدستان ولا يجوز أن يكون فيهما دين آخر، يقولون بقية المملكة العربية السعودية لماذا لا نبني فيها كنائس؟..

كما يتحدثون دائمًا عن المجموعات الكاثوليكية الموجودة في بلاد أخرى مثل مصر، وأين حقوقهم ومدارسهم مع أن مدارسهم تفوق مدارس المسلمين في مصر، يعني المدارس الكاثوليكية إذا «عُدَّت» فهي أكثر بثلاث أو أربع مرات من المدارس الإسلامية أو التي تدرس المنهج الإسلامي في مصر، ومع ذلك يتحدثون عن اضطهاد المدارس الكاثوليكية، يتكلمون عن حق نشر الديانة الكاثوليكية في كل بلاد العالم بما فيها البلاد الإسلامية، بل قل أولها البلاد الإسلامية، ليس فقط البلاد التي لم يدخلها المسيحيون من قبل أي لا تزال وثنية إنما البلاد التي فيها إسلام وهذا ـ في نظرهم ـ حق لهم ولكن ليس من حق أحد أن يبشر بالإسلام في بلادهم. هذا الحوار مع مؤسسة الحوار مع دولة اسمها الفاتيكان تملك كنيسة اسمها الكنيسة الكاثوليكية..

- **سواء في عهد البابا السابق أو البابا الحالي؟**

- نعم في كل العهود دوائر الحوار نفسها هي هي، وموضوعاته في جميع اللقاءات مع الفاتيكان هي هي.

الفارق الوحيد أن البابا الحالي أوقفنا الحوار معه بعد موقفه في المحاضرة التي ألقاها في ألمانيا، الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين اتخذ موقفا، وهو موقف لا يزال مستمرًا والاتحاد مصمم عليه، أن لا يحاور الفاتيكان ولا الكنائس التابعة له، أي نوع من أنواع الحوار، إلى أن يحذف الكلام السخيف الذي قاله البابا في محاضرته في ألمانيا من موقع الفاتيكان على الإنترنت ومن الكتاب الذي ينشر كل سنة.

- **لم يحذف حتى الآن؟!**

- لم يحذف ولا يزال على الموقع.

- **هو عمل ما يشبه الاعتذار أو الترضية**

- هو لم يعلن اعتذارا ولا ترضية.

لم يعتذر أو يقم بالترضية وهذا كلام كتب في الصحف وهو غير صحيح.

- **ولم تحذف من الموقع؟**

- ولم تحذف من الموقع الإلكتروني للفاتيكان كلمة، فنحن لا نزال على موقفنا من الفاتيكان، نحن نتحاور مع الفاتيكان منذ عام ١٩٦٨ وليس من اليوم، تحاورنا معه أفرادًا، وتحاورنا معه جماعات جامعية، وتحاورنا معه وفودًا من دول، وتحاورنا معه كاتحاد لعلماء المسلمين في القمتين الإسلامية/ المسيحية الأولى والثانية، لكن بعد أن يقف البابا رأس الفاتيكان ويشتم نبينا ويهين قرآننا كيف نتحاور معه؟ هذا لا يجوز التحاور معه. بل إن مندوب البابا في لقاء في القاهرة هنا، لقاء نظمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، في البيان

الختامي، كُتب فيه الديانات السماوية، فاعترض وقال: أنا لا أقبل أن تكتب كلمة ديانات سماوية، لأنه لا يعترف بالإسلام كديانة سماوية، فأخونا الكبير الشيخ القرضاوي قال: نقول القيم الروحية، قال: لا، لا نعترف بالإسلام كقيم روحية، الإسلام تقاليد، فغضب الشيخ يوسف القرضاوي غضبة مضرية هائلة، وكان لها صداها وقال: إذا أنتم لا تعترفون بنا ديانة سماوية ولا قيم روحية، فلماذا تحاورننا وتجلسون معنا؟ ونحن لماذا نحاوركم ولماذا نجلس معكم؟!

نحن لا نقول لهم اعترفوا بالإسلام دينا سماويا مرسلا به محمد ﷺ وله قرآن موحي من السماء، لأنهم لو اعترفوا بهذا يسلمون، وهم أحرار في عقائدهم ندعهم وما يدينون، لكن لابد أن يعترفوا بحقنا في أن نؤمن أن هذا الإسلام دين سماوي، أن يعترفوا بحقنا في أن نؤمن بأن هذا الكتاب من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الأخ بابا الفاتيكان هذا الذي تقول إنه عمل ترضية، الترضية هذه كان بها: «إن الحوار مع المسلمين شديد الصعوبة لأنهم يعتقدون أن كل حرف في القرآن من عند الله» طبعًا، كل حرف في القرآن من عند الله رضي من رضي وكره من كره، والذي لا يقبل منا أن نعتقد هذا الاعتقاد ليس بيننا وبينه حوار.

مع إخواننا البروتستانت البريطانيين والأمريكان الحوار حوار حياة فعلا، حوار عيش مشترك فعلا، حوار مصالح ومفاسد اجتماعية وثقافية وتربوية فعلا، حوار محاربة الرذيلة ومساندة الفضيلة فعلا، لكن لا يتطرق إلى المسائل اللاهوتية الشائكة.

ولا إلى المسائل السياسية الشائكة، وأنا أذكر عندما ذهبنا إلى الكنيسة البريطانية سنة ٢٠٠٢، كان أسقف كانتربري هو الدكتور (جون كيري) وهو رجل منفتح وعنده نظرة ثقافية إنسانية واسعة جدًّا، فكان يوم جمعة من أيام الحوار، فصلينا الجمعة هناك، بعد الصلاة على الغداء، قال إن المسلمين الذين دخلوا هذه الكنيسة في هذا الحوار أول مسلمين يدخلون هذه الكنيسة منذ ٨٠٠

عام، فنحن نخط اليوم تاريخا جديدًا، فقلت له: أين إذن تقابلون المسلمين عند التحاور معهم، فقال: نقابلهم في كنائس أخرى، غير الكنيسة الرئيسية التي فيها البطريارکية التي بها الأرشيبشوب نفسه، هذه الكنيسة لم نحاور فيها المسلمين منذ ٨٠٠ سنة.

إذن الحوار مع هؤلاء واجب في إطار العيش المشترك، لكنه غير جائز في إطار الأديان.

- **عربيا ومصريا؟**

– عربيًا كنت أقول لحضرتك نحن أنشأنا الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي وهو يعمل في إطار الأمة العربية مسلميها ومسيحيها لأمرين:

الأول: منع أسباب الفتنة التي تقع كل يوم هنا مرة، وفي بيروت مرة، وفي دمشق مرة، وعمان مرة، الفتن التي نسمع عنها كل يوم في الصحف، منع أسباب الفتن من التعصب ومن الجهل بالآخر ومن عدم معرفة حقيقة ما عنده نحوك، وما عندك نحوه، أي أنه دور ثقافي عام.

الأمر الثاني: هو إطفاء الحرائق، وإطفاء الحرائق لا يقل أهمية عن التوعية فإذا قامت فتنة في أحد البلاد، نحن نسعى إلى عقد اجتماع في هذا البلد ونناقش المسألة بكل تفصيل، وبكل وضوح، ولا نعين مخطئا أو مصيبا، لأننا لسنا جهة تحقيق، لكن نعين خطأ وصواب، نقول هذا الفعل خطأ وهذا الفعل صواب، هذا يقبله الإسلام وهذا لا تقبله المسيحية، هذا لا يقبله الإسلام وتقبله المسيحية ونصل إلى، لا أستطيع أن أقول كلمة سواء لأن كلمة سواء في الأديان مستحيلة، لكن إلى كلمة مقاربة للحياة المشتركة بين الناس التي هي في الوطن الواحد هي عيش واحد.

هذا الفريق يعمل من عام ١٩٩٥، وأنا أستطيع أن أقول برضا إنه يعمل بنجاح، ومن أهم مظاهر نجاحنا المعسكرات الصيفية للشباب التي بدأناها

سنة ١٩٩٦ ومستمرة حتى الآن، يشترك فيها مجموعة من شباب البلاد العربية، ومن الأوربيين والأمريكان أحيانا، يتعاونون ويتعايشون ويعملون مع بعض يعيشون في دير يعيشون في مدرسة يعيشون في فندق صغير، ويتعاملون عملا يوميا لمدة أسبوعين، هؤلاء في كل مرة يرجعون بخبرات جديدة وبنظرات جديدة أكثرها إيجابي وأقلها سلبي، ونحن في الفريق نعمل في كل سنة على تقويم هذا المعسكر وإضافة الإيجابي وتقويته، وتقليل السلبي أو نفيه نهائيا.

- **الموارنة في لبنان كاثوليك قريبون من بابا الفاتيكان، هل يأخذون نفس موقفه الفكري أم لهم موقف آخر؟**

- الموارنة في لبنان هم كاثوليك عرب، مثل الكاثوليك المصريين العرب، هم أهلنا وإخواننا، وموقف الموارنة في لبنان هو موقف عربي شهم وقوي، ولا شأن لهم بما يقوله بابا الفاتيكان، هم عندهم البطرك صفير وهو لم يقل أي شيء سيئ عن الإسلام أو عن أي ديانة أخرى، وموقفنا وعلاقتنا معهم علاقة طيبة جدًّا وأخوية وليس فيها شيء، نحن علاقتنا متوقفة مع الفاتيكان والكنائس القابلة لكلامه، إنما الكنائس التي تأخذ موقفًا عربيًا ملائما لعروبتنا ووجهتنا فمرحبًا بها.

- **الإسلام والمسيحية في أوربا، الإسلام والمسيحية في العالم العربي، الأقباط والمسلمون في مصر؟**

- الأقباط والمسلمون أخوان في هذا الوطن منذ دخل الإسلام إلى مصر وإلى اليوم، وسيظلان هكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، جميع المحاولات التي تجري من جانب بعض المتعصبين المسلمين، أو من جانب بعض المتعصبين الأقباط ضد أحد الفريقين، محاولات حمقاء لا يصيبها أي نجاح إلا أن يكون نجاحا وقتيا فقط، لمدة ساعات أو أيام محدودة، ثم تذوب ويطويها النسيان، ولا يذكرها إلا المتعصبون من الطرفين إذا أرادوا أن يحيوا فتنة جديدة، أو يصنعوا فتنة مستجدة فَيُذَكِّرون الناس بما كان في الماضي من هذه الفتن.

علاقاتنا بإخواننا الأقباط علاقة من أحسن ما يكون، الشعب القبطي والشعب المسلم كأنهما شعب واحد لا تستطيع أن تفرق أحدهما عن الآخر، فالتعامل اليومي في الشارع والمدرسة، عيادة الطبيب والصيدلية، وفي كل مكان، لا تشوبه أي شائبة، لكن توجد بؤر تعصب وتنطُّع بين الطرفين، هذه البؤر تشتعل نارًا في مناسبات معينة، وتخمد وتطفأ في مناسبات أخرى.

عندنا مشكلة حديثة مع إخواننا الأقباط، حاولت التعبير عنها بأكثر ما استطعت من الدقة والرقة، في كتابي «للدين والوطن»[1]، لخصت فيه علاقتنا بإخواننا الأقباط، دافعنا عنهم دائمًا لأن ديننا يأمرنا بالدفاع عنهم إذا تعرضوا لأذى. وهاجمناهم كلما أخطئوا في حق ديننا دون أن نجاملهم، لأننا لا نستطيع أن نجامل في الدين بسبب الأخوة في الإنسانية أو الأخوة في الوطن. وقلنا لهم ـ ولا نزال نقول ـ إن مهاجمة الإسلام لن تفيدكم في شيء، بل تضركم في علاقاتكم بالمسلمين أهل هذا الوطن، وقلنا لأبنائنا المسلمين دائمًا إن مهاجمة الأقباط بغير سبب أمر لا يقره الإسلام بل يمنعه القرآن الكريم ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة:٨]، والأقباط لم يقاتلونا في الدين ولم يخرجونا من ديارنا.

هناك ظاهرة حديثة نسبيًا ظهرت منذ سنتين تقريبًا، ينبغي أن أقولها لك، وهي ظاهرة المطبوعات القبطية المتخصصة في سب وشتم وإهانة الرموز الإسلامية الثقافية والفكرية، وهم يختارون بالذات الرموز الثقافية والفكرية ولا يتكلمون عن الرموز الدينية الرسمية، فهم لا يتكلمون عن المشايخ في الأزهر ولا الأوقاف ولا دار الإفتاء، لكنهم يتكلمون عن الرموز المتعلقة بالصحوة وبالإحياء وبالعمل الثقافي التوعوي في الشارع الإسلامي وفي المنظمات الثقافية الإسلامية، كلام أقل ما أقوله فيه إنه سخيف وفي أحيان

(١) في طبعته الثالثة، نهضة مصر بالقاهرة.

كثيرة يجاوز حدود الأدب، وهذا الكلام اقتضى أن نرد عليهم في كل مرة قالوه فيها، وكان يقتضي ردًا، هناك مرات كثيرة بل مئات المرات قالوه، على مواقعهم على الإنترنت وفي مجلاتهم ولم تكن تقتضي ردًا لأنها شتائم خالصة فلم يكن لنا، في نظرنا، رغبة ولا حق في أن نرد على الشتائم.

لكن لما وصل الأمر للإسلام نفسه، لم يكن ممكنًا أن نسكت، هذه هي المشكلة التي تواجهنا الآن، أن إخواننا الأقباط الأرثوذكس والإنجيليين عندهم أفواه تتكلم وعندهم مجلات وصحف يكتبون فيها، تتعرض ـ بما لا يجوز ـ للإسلام من حيث هو دين ومن حيث هو عقيدة ومن حيث هو شريعة، وللذين يدافعون عن هذا الإسلام ويحملون لواء التوعية به والدعوة إليه في أوساط المسلمين داخل الوطن الذي هو مصر.

نحن تحملنا ومازلنا نتحمل من إخواننا المسلمين الكثير، لمجرد أننا نقول إخواننا الأقباط، لأن المتعصبين كثيرون، كما أنهم، أصدقاؤنا الأقباط، يتحملون الكثير داخل الصف القبطي عندما يقولون إخواننا المسلمين، لكن هذا الهجوم محتمل في سبيل وحدة الصف الوطني، أما أن تهاجم ديني أو عقيدتي أو شريعتي أو رموزي الإسلامية، فهذا أمر لا يقبل، وهذه هي المشكلة القائمة الآن، وأنا أظن أنها ستبقى قائمة طالما بقيت هذه الأفواه المتكلمة أو تلك الصحف التي يكتب فيها تصدر وتمارس هذا العمل.

- **بعض الدعاة الإسلاميين، هم الآخرون، يكتبون أو يقولون خلال خطبهم بعض الأشياء الجارحة التي تصل إلى آذان الأخوة المسيحيين.. كأننا إزاء فصيل متطرف في مواجهة فصيل متطرف.. يغذي بعضه بعضًا.**

– نعم هناك فصيل متطرف من المسلمين أو غال غلوًا غير مقبول في الإسلام؛ لأننا نقر بالدين المسيحي، ونقر بنبوة نبيهم عيسى بن مريم عليه السلام، ونقر بأن أمه صديقة كما يقول القرآن، ونقر بأن الله أوحى إلى عيسى الإنجيل، وبأن الله أوحى إلى موسى التوراة فإذا جلس من يصف نفسه بأنه داعية

إسلامي، وفرغ نفسه لمهاجمة المسيحيين في سلوكهم أو في عقيدتهم، فهذا مخالف للإسلام، ليس مطلوبًا منا أن نهاجمهم ومن يهاجمهم مخطئ، ونحن نخطئه ونلومه علانية وليس سرًا، لكن عندما يتكلم متطرفوهم عن الإسلام ورموزه لا يصح أن نسكت.

كتب أحد الكتَّاب في الصحف مقالا هاجم فيه الدكتور محمد عمارة وهاجمني هجومًا شنيعًا جدًّا، فقرأت المقال باحثا عن سبب مهاجمته لي فلم أجد إلا في آخر المقال كتب يقول أما فلان فإنه يؤيد عمارة دون تحفظ. وقال إن دكتور عمارة أتى بكلامه من الكتب ولم يأت به من عنده(!)

ماذا في هذا الكلام، ما الذي يضايقك فيه، إن كان الدكتور عمارة أتى بوقائع ثابتة في كتب تاريخية وقال إن هذا حدث وهذا حدث، لماذا تلومه، لم الذين فعلوا هذه الأفعال تبرأ من هذه الأفعال تنصل أنت من التاريخ القديم السيئ وقل هذا ماضٍ أنا غير مسئول عنه.

لكن أن تهاجم الإسلام والمسلمين والعلماء بغير سبب هذا لا يقبل ولن يقبل.

أنا من الآن أقول لإخواننا الأقباط إن هذا لن يقبل في المستقبل أبدًا، ونحن الآن نرد عليه بمثل ما يقولون، إذا قالوا كلاما خطأ نصححه، إذا قالوا شتائم نذب عن عرض إخواننا الذين يشتمون، لكن قد يأتي جيل ويفعل غير ذلك، وإذا جاء هذا الجيل فلن يستطيع أحد أن يطفئ النيران. فنحن نقول لهم من الآن امنعوا أن توقد النار بحفظ هذه الألسنة وكبح جماح هذه الأقلام التي تنال من الإسلام والمسلمين دعوا الأمور ترجع لطبيعتها ولرقتها ولأسلوبها الأخوي حتى نعيش سعداء.

الحلقة الرابعة

- الولايات المتحدة اخترعت فكرة تنظيم القاعدة، وصدقّتها أنظمة أمنية عديدة، وأصبحت القاعدة كأنها شيء حقيقي.
- الجماعة الإسلامية خرجت من الغلوّ وانتجت ٢٦ كتابًا في إطار المراجعات.
- محاولة التغيير بالعنف داخل الوطن حرام ليس لها أي سبب ولا يقبل منها أي عذر وهي عملية محرمة شرعًا.
- الإباضية موجودون في عُمان وليبيا وتونس والجزائر وشرق إفريقيا.. وهم ليسوا خوارج.. هم يعملون بالقرآن والسنة.
- الزيدية مذهب شيعي يختلف عن الاثنى عشرية في مسألة الإمامة.
- الإسماعيلية شيعة منهم الفاطميون الذين أقاموا دولة شيعية في مصر.. وكتب عنهم الإمام الغزالي في «فضائح الباطنية» وهم ليسوا ممثلين في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
- وصف النساء بنقص العقل والدين كن دعابة نبوية في يوم عيد
- الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر من أعلام الزهد وسوف يذكره تاريخ الإسلام و الشيخ الغزالي لم ير مثل نفسه ولم الناس مثله.

- **لا تزال عندالحركات الإسلامية.. القاعدة وما بعد القاعدة.. ثمة مفارقة بشأن تحولات الحركات الإسلامية.. بينما كان بعضها يتجه نحو الاعتدال بحكم المراجعات كان البعض الآخر يتحول إلى التطرف عكس المراجعات.. «الحركة الإسلامية رايحة جايه.. ما اذي يجري؟»..**

- اسمح لي، أولا، أنا أكذب وجود تنظيم اسمه القاعدة، فـ«القاعدة» مكان كان معسكرا في باكستان يأوي إليه القادمون إلى الجهاد في أفغانستان، فيتدربون ويُعَدُّونَ لدخول أفغانستان لقتال الروس ومن يواليهم من الأفغان في ذلك الوقت، هذا المكان اخترع باسمه تنظيم اسمه القاعدة؛ لأنه كان معسكر القاعدة أو معسكر الأساس مثل الشباب الذي يجند في الجيش المصري، يذهبون إلى شيء اسمه وحدة التدريب الأساسية لمدة ٤٥ يوما، فالقاعدة تلك هي مكان التدريب الأساسي.

- **يعنى الاسم جاء من مجرد نقطة جغرافية؟**

- نعم نقطة جغرافية، مكان محدد بسلك شائك، فيه خيام ومدربون عسكريون وروحيون، وعندما أرادت الولايات المتحدة الأمريكية أن تنقلب عليهم، بعد أن نفضت يدها من الحرب في أفغانستان، وخرج الروس وانهار الاتحاد السوفيتي وحدث ما حدث، وانقلب السحر على الساحر. عندما أرادت أن تنقلب عليهم اخترعت فكرة تنظيم القاعدة، وصدقتها أنظمة أمنية كثيرة، وأصبحت (القاعدة) كأنها شيء حقيقي(!)

الحلقة الثالثة من الموضوع أن الرجال والشباب، الذين يعملون في بقايا الجيوب الأفغانية، الذين تحولوا إلى «الجبهة العالمية لمناهضة الصهيونية والصليبية والإمبريالية» التابعة لأسامة بن لادن، وجدوها فكرة جيدة، إذن القاعدة في الرافدين، القاعدة في المغرب العربي، القاعدة في وادي النيل،

القاعدة في العراق. ما هذا؟! أين هذه القاعدة؟! لا وجود لها!!

لا يوجد شيء اسمه تنظيم القاعدة، وإنما يوجد أناس يقومون بأعمال إجرامية وينسبون أنفسهم إلى هذا التنظيم، أو يزعمون وجود هذا التنظيم، هم يريدون أن يكون لهم سمعة مرعبة بادعاء الانتساب إلى الشيء الذي اخترعته المخابرات الأمريكية المسمى القاعدة.

حتى أيمن الظواهري في كتبه وأسامة بن لادن في كلامه، لا يتحدثان عن القاعدة ولا شباب القاعدة، وإنما يقولان يا أيها المجاهدون، أيها البواسل، أيها الأبطال، فهذا الشيء اخترعه أعداء هؤلاء الشباب من أجل تدميرهم، واستغله هؤلاء الشباب من أجل إخافة أعدائهم، مثل الكرة التي يتناقلها فريقان يركلها كل فريق مرة.

- **ما الطريق الفكري والفقهي إلى القاعدة وبالعكس؟**

- الطريق الفكري والفقهي إلى القاعدة هو التشدد والغلو، أول شيء أن تكون غاليًا متشددًا، إذا وجدت إنسانًا حليق اللحية مثلك أو مثلي تعتبره خارج عن ملة الإسلام، إذا وجدت إنسانًا يرتدي هذه الملابس التي يسمونها الملابس «الإفرنجية» يعتبرونه خارجًا عن ملة الإسلام، إذا صلى بغير طريقتك في الصلاة يكون صاحب بدعة، إذا سبح بعد الصلاة تسبيحًا أكثر مما وردت به السنة يكون عنده نوع من الخروج على السنة..

هذا التشدد هو أول الطريق، بعد التشدد يبدأ الغلو، لأني أولًا اعتبرك مبتدعا ثم فاسقا فكافرًا، وإذا اعتبرتك كافرا استبحت دمك، هذا هو الطريق إلى القاعدة أن تبدأ بالتشدد ثم بالغلو ثم بالتكفير، أما الطريق من القاعدة فهو التوبة عن هذا والعودة عنه، نحن نتكلم عن القاعدة بمعناها المعنوي بمعنى فكر الغلو والتكفير بمعنى فكر استعمال القوة لفرض الرأي، هذا معنى القاعدة عندي، القاعدة هي المعنى الذي يدور حوله استعمال القوة لفرض

رأيك على الغير، استعمال القوة لتحقيق أهدافك السياسية داخل المشروع الوطني، أو داخل أرض الوطن.

وهذا ما ارتكبه أولادنا وإخواننا في الجماعة الإسلامية، عندما كانوا يحملون السلاح، ورجعوا عنه بما صنعوه من مراجعات، بلغت الآن نحو ٢٦ كتابًا، كيف خرجوا من الفكر الغالي؟ بالعودة إلى فكر الوسطية، كيف خرجوا من فكر التشدد والعنف واستباحة دماء الناس وأموالهم؟ بأن فكروا ودرسوا الإسلام من جديد، ودرسوا الفقه من جديد وجدوا أن الإسلام لا يقبل هذا، ولذلك كتبهم في المراجعات هي كتب متعلقة بالموقف الفقهي، وليس الفكري فقط، كتب متعلقة بالحلال والحرام، وكتب متعلقة بقال الله وقال الرسول، وهو ما جعل هذه المراجعات صادقة، لأنها ليست رؤية سياسية.

بعض المراجعات الأخرى التي حاول بعض الناس صناعتها هي رؤية سياسية، يقول لك هذا مناسب وذاك غير مناسب، هذا ملائم الآن هذا غير ملائم الآن، هذه رؤية سياسية، أنا اليوم برأي وغدًا برأي آخر، لكن الرؤية الدينية أنا لا أغيرها إلا إذا تغير رأيي في الدليل، وهم فعلوا ذلك عن طريق مجموعتهم القيادية، التي يسمونها القيادة التاريخية للجماعة الإسلامية، أمثال كرم زهدي، وناجح إبراهيم، وأسامة حافظ، وعصام دربالة، وعلي الشريف، وفؤاد الدواليبي، وعاصم عبد الماجد، وحمدي عبد الرحمن.

وهذه المجموعة المكونة من ثمانية رجال اجتهدت اجتهادًا هائلًا في الدراسة، وأنا أشهد بذلك من موقع طالب العلم وليس موقع المفكر السياسي، أشهد أنهم اجتهدوا اجتهادًا هائلا في الدراسة، وانتهوا إلى نتائج أغلبها صحيح وسليم علميًا، قالوا فيها «إن ما كنا عليه كان خطأ، وإن الطريق الصحيح هو طريق الوسطية الإسلامية»، فرجعوا إلى الحق. وليس هناك طريق للعودة عن انحرافات الغلو الديني إلا هذا الطريق.

إذا بدأت في الغلو ستنتهي قاعدة، فكريا، وإذا أردت أن تخرج من القاعدة لابد أن تعود للوسطية.. لا توجد طريقة أخرى.

ذكرنا أيضًا، ونحن نتكلم عن الحركات، حماس وحزب الله.. حركات المقاومة. وطبعًا الكلام عنهم يطول جدًّا، ولكن يجب أن نفرق، أو على الأقل أنا شخصيًا أفرق، تفرقة واضحة بين حركات المقاومة ضد العدو الصهيوني مثل حماس والجهاد والجبهة الشعبية وألوية الناصر صلاح الدين وحزب الله، التي تقاوم العدو الصهيوني فقط، وبين الحركات الإسلامية التي تحاول التغيير بالعنف داخل أوطانها.

محاولة التغيير بالعنف داخل الوطن حرام، ولا يجوز أن يقبل منها أي عذر، وليس لها أي سبب، هذه عملية محرمة شرعًا؛ لأن فيها قتل الأبرياء من المسلمين وغير المسلمين، المواطنين والمقيمين والزوار، مثلما قتل عندنا السياح بغير ذنب، قتل المشاركون في مؤتمر القانون الجنائي الدولي بغير ذنب، هذا كله جرائم يعاقب عليها الإسلام وتسمى في الإسلام جريمة الحرابة، نص عليها القرآن الكريم مقررًا لها أقصى عقوبة وأقسى عقوبة في القرآن الكريم، هي العقوبة الواردة، في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ ...﴾ [المائدة:٣٣].

هذه كلها جرائم حرابة بما فيها ما ارتكبه بن لادن وغيره في باكستان ومصر، وفي السفارة الأمريكية في كينيا وغيره، كلها جرائم حرابة، ومن قاموا أيضًا بتفجيرات نيويورك.. أنا لا أعرف من فعلها، أنا لا أؤمن ولا أستطيع أن أصدق أن المتهمين بها هم من قاموا بها، لكن الذين فعلوها أيًا من كانوا، في الإسلام ارتكبوا جريمة اسمها جريمة الحرابة، وهذا شيء مختلف تمام الاختلاف ولا يمكن أن يقارن ولا يوزن بمواجهة العدو الصهيوني بالسلاح، فمواجهة العدو الصهيوني بالسلاح واجب على كل قادر عليه، والذين يقومون بهذا العمل يقومون بأشرف ما يمكن أن يقوم به الإنسان في زمن الاحتلال، ولذلك فالتفرقة بين هؤلاء وهؤلاء تفرقة مهمة وضرورية وإلا لن نخرج بنتيجة سليمة.

- **عظيم جدًّا.. أصبح واضحًا، لكن أيضا في سياق حديث حضرتك ذكرت ألفاظا صعبة إلى حد ما كـ «الإباضية»، وقلت أيضا عرضًا إن الخوارج أسسوا دولا، في اعتقاد العامة أن الإباضية خوارج، والخوارج خارج الدين؟**

- أولا الإباضية ليسوا خوارج، الإباضية قوم يَتَّبعونَ ما صح من أحاديث الرسول، ﷺ، وطبعا القرآن الكريم مرجع الجميع لا يختلف عليه اثنان.

- **نرجع للأقدم قليلا.. من هم الإباضية؟**

- الإباضية فرقة من فرق المسلمين، تنسب إلى شخص اسمه عبد الله بن إباض التميمي، وهو من التابعين.

وعبد الله بن إباض درس الحديث، وجابر بن زيد هو الذي روى عنه عبد الله بن إباض علمه ومسندهم أو كتابهم الأساسي في الحديث، اسمه مسند الربيع بن حبيب الذي رواه عن جابر بن زيد وهم منسوبون لا إلى جابر ولا إلى الربيع وإنما إلى عبد الله بن إباض، هذا عالم من العلماء وقائد من القواد في وقت نشأة الفرقة ونسبوا إليه لتأسيسه للفكر الإباضي وجداله عنه والرسائل التي كتبها إلى نافع بن الأزرق وعبد الملك بن مروان في هذا الشأن. وتاريخ وفاته غير معروف بدقة.

- **أين توجد هذه الفرقة حاليًا؟**

- الآن هم موجودون في سلطنة عمان أساسًا، وموجودون أيضا في ليبيا، وتوجد فرقة كبيرة منهم في تونس، وهناك جزء كبير من جبال الجزائر إباضية، وموجودون كذلك في ساحل شرق إفريقيا، في زنجبار (موزمبيق)، كل هذا الساحل إباضي وتربطه صلات قوية بسلطنة عمان، لأن الإسلام دخل إليهم عن طريق تجار عمان فدخل لهم الإسلام الإباضي، إباضية ذهبوا للتجارة هناك فأسلم أهل البلد، يوجد بعض الإباضية القليلين في إندونيسيا، هذه هي المواطن الأساسية الآن للإباضية.

- وأكبر عالم إباضي موجود الآن هو الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي سلطنة عمان، وهناك علماء طبعا من السالمية بيت قديم من بيوت العلماء موجود في تونس، وفي ليبيا، وفي عمان علماء كثيرون لا يحصون عددا، وهؤلاء قوم يعملون بالقرآن الكريم، وبالسنة، مصدرهم الرئيسي فيها هو مسند الربيع بن حبيب، ومعظم أحاديثه، إن لم يكن كلها، موجودة في دواوين السنة المسلَّمة عند أهل السنة والجماعة. وهم يقرون بالإجماع والقياس ودليل العقل الذي تدخل فيه باقي مصادر الفقه عند جمهور المسلمين.

الفروق بين الإباضية وبين أهل السنة والجماعة متعلقة بأمور عقدية في الآخرة رؤية الله، عدم رؤية الله، وجوه المؤمنين عندما ينظرون إلى ربهم، وهذه مسائل كلها لا تُخرِج عن الدين. وهي ليست فقط خلافات لا تخرج من الدين، بل أيضا خلافات لا يمكن معرفة الحق فيها، يمكن معرفة هذا الحق يوم القيامة، والخلاف فيها غير مُفرِق.

وأذكر للشيخ الخليلي فتوى رأيتها مكتوبة ومعلقة في مسجد التلفزيون العماني، كان السؤال فيها أن المسجد ضاق بالمصلين في صلاة القيام ويضطرون للصلاة في الحديقة والحديقة بها (فسقية) فيضطرون للصلاة خلفها.

والسؤال هنا عن الصلاة والماء يفصل بين الإمام والمأمومين، لأنه في المذهب الإباضي لا يجوز أن يفصل الماء بينهم.

فرد فضيلته برد عجيب جدًّا، فالمعروف أن علماء المذاهب أن يبدءون الرد على السؤال بذكر ما قاله العلماء في مذاهبهم: فلان قال كذا وكذا وفلان رد بكذا وأنا رأيي كذا، الشيخ الخليلي أجاب بالإجابة الآتية: «بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله، اعلم أيها الأخ السائل أن المقرر في الفقه أنه إذا ضاق الأمر اتسع وإذا اتسع ضاق، وقد ضاق عليكم مسجدكم فتستطيعون أن تصلوا في الحديقة وهذا الماء لا عبرة به، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

- **بيسر شديد..**

- بيسر شديد ومن القواعد الفقهية، وهذا هو الاجتهاد، الاجتهاد هو أن تأخذ الحكم من النص أو من القاعدة، فهو أَخَذَ الحكم من القاعدة. «إذا ضاق الأمر اتسع» جامع الناس ضاق فيصلون وراء الماء، «وإذا اتسع ضاق» إذا كان الجامع واسعًا جدًّا يضيق عليكم أمر الصلاة خارجه أو حيث يفصل بينكم وبين الإمام ماء، نقول لكم لأ ادخلوا إلى المسجد، والأمر في حالة السؤال ضاق فاتسع.

- **ومن أين جاء الخلط لدى عموم الناس بين الإباضية والخوارج؟**

- لأن عبد الله بن إباض نفسه في وقت من الأوقات كان مع الخوارج، ثم تركهم ورأى بطلان مذهبهم، وانتقدهم انتقادات شديدة، وهو يوصف في كتب المذهب بأنه من المُحَكِّمَة المعتدلين أي الذين لم يغلوا كما غلا سائر الخوراج. والإباضية ليسوا في الحقيقة من هؤلاء.

- **قريب منهم في اليمن المذهب الزيدي؟**

- قريب منهم في اليمن من حيث الجغرافيا، لكنه مذهب مختلف، هو مذهب شيعي، والزيدية هم أتباع زيد بن علي، الفرق بينهم وبين الإمامية، هو أن الإمامية يقولون إن الإمامة محصورة فيمن أوصى لهم رسول الله ﷺ، بينما الزيدية يقولون إن الإمامة جائزة في كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي (عنده جود ليس بخيلا)، خرج مطالبًا بحقه في الإمامة، وعندما قالوا ذلك عند الإمام جعفر الصادق، قال جعفر الصادق لزيد بن علي: إذن أبوك وجدك ليسا إمامين، لأنهما لم يخرجا مطالبين بحقهما في الإمامة(!) فالخلاف بين الإمامية الإثني عشرية والزيدية يدور حول مسألة من هم الأئمة، الزيدية يقولون إن الإمامة جائزة في كل فاطمي اجتمعت فيه الشروط المذكورة، لكن الإمامية يقولون إن الإمامة في الإثني عشر المنصوص عليهم فقط.

- **وهل الزيدية والإباضية ممثلان في الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين؟**

- طبعًا ممثلان، من الزيدية اثنان في مجلس الأمناء: الشيخ حمود الهتار وقد أصبح وزيرًا للأوقاف في اليمن قريبا والشيخ عبد الوهاب الديلمي وهو نائب رئيس جامعة إسلامية كبيرة في اليمن وكلاهما من الزيدية.[1]

- **الشيعة الإسماعيلية؟**

- الإسماعيلية شيعة لكنهم وقفوا بالإمامة عند إسماعيل بن جعفر الصادق ولم يقبلوا القول بإمامة موسى الكاظم ومن بعده من أئمة الاثني عشرية، ولهم آراء تخالف آراء الاثني عشرية ذكرها الإمام الغزالي في كتابه فضائح الباطنية وقراءته تكفي في هذا المجال.

الفرق بينهم وبين الإمامية أمران: أن الفقه الإمامي مستمر في الاجتهاد والتجديد، لأنه عند الإمامية لا يجوز تقليد الميت، كل من مات لا يقلد، لابد أن تقلد مجتهدًا يعيش في عصرك. أما عند الإسماعيلية، فقد وقف التقليد عند الأئمة حتى عصر إسماعيل بن جعفر، وكما قلت فإن فقههم قد تحول إلى فقه منزوٍ ومختفٍ.

ومن الإسماعيلية الفاطميون الذين أقاموا دولة شيعية فاطمية في مصر بعد أن أسسوها في المغرب.

- **هل هم ممثلين في الاتحاد العالمي؟**

- لا ليسوا ممثلين في الاتحاد.

- **إذن عند هذا السرد الجديد حقيقةً بالنسبة لنا عن الإباضية عن الزيدية عن الإسماعيلية وعن تنظيم القاعدة الذي أنكر ضيف هذا اللقاء الدكتور محمد سليم العوَّا وجوده بالمعنى التنظيمي..**

- أنا نفيت وجوده لم أنكره لأني لو أنكرت إذن أنا عندي معلومة أنكرها، أنا لا

(١) كان هذا في مجلس الأمناء الذي انتهت مدته في ١٠/ ٧/ ٢٠١٠.

أنكر شيئًا أنا أنفي وجوده، لا وجود لتنظيم اسمه القاعدة، هناك فكر نسب لهذا التنظيم، لكن لا يوجد تنظيم.

- **إذن ونفي وجود القاعدة..**

قضية مثيرة قضية المرأة في الإسلام أو العبارة الشائعة التي اختزل فيها العامة موقف الإسلام من المرأة «ناقصات عقل ودين»، هل هن ناقصات بالفعل أم لا؟

- طبعًا لا، هن غير ناقصات.

- **لا عقل ولا دين؟**

- لا عقل ولا دين.

هذه العبارة هي جزء من حديث صحيح لرسول الله، ﷺ، رواه البخاري وغيره من أصحاب كتب السنة، لكن إذا لم تُعرف قصة الحديث وكيف جرى، فلن يستطيع أحد فهم هذه العبارة، واختزال موقف الإسلام من المرأة في هذه العبارة هو ظلم للإسلام وظلم للمرأة. الإسلام لا يرى في المرأة نقصًا لا في عقلها ولا في دينها.

الحديث قصته أن الرسول ﷺ، كان يخطب الناس في يوم عيد، ويوم العيد كان النبي يأمر كل المسلمين بالخروج حتى النساء اللاتي لا يصلين، لأعذار شرعية، يأمرهن بالخروج حتى يشهدن الخير، لأن الملائكة تنزل على المسلمين في صلاة العيد، وترفع صالح أعمالهم إلى الله، تبارك وتعالى، فلا يريد أن يحرم المرأة التي لا تصلي، بسبب من الأسباب الشرعية، من شهود هذا الخير، فلما سئل عن سبب خروجهن وهن لا يصلين، قال: «يشهدن الخير ويحضرن جماعة المسلمين»، أي يحضرون يرون الرحمة التي تتنزل على المسلمين وهم في صلاة العيد.

في هذا اليوم المبارك، في نظر المسلمين، كان النبي، ﷺ الأئمة يفعلون ذلك حتى الآن في كل الجوامع وتجمعات الصلاة يخطبون خطبة العيد ـ خطب النبي ﷺ خطبة العيد ثم رأى كأنه لم يُسْمِع النساء، فالمكان بعيد وعدد الناس كبير ولا توجد مكبرات صوت، فأتى النساء ومعه واحد من أصحابه، بلال أو غيره على اختلاف الروايات، أتى النساء ووعظهن وذكرَّهُن وأمرهن بالمعروف ونهاهن عن المنكر، وعظٌ مثل وعظه للرجال، ثم قال لهن: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن»، لم أر أحدًا عقله ناقص ودينه ناقص ممكن يُذهب عقل الرجل الحازم الشديد القوي مثل النساء، إذا كان هذا الكلام فيه انتقاص فلابد أن يرد أو يناقش، فكان الرد: قامت امرأة من الأنصار جزلة يعني قوية الخطاب تستطيع أن ترد، مُبِينَة فقالت «وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله؟» فقال «أليست إحداكن تمكث في قعر بيتها شطر (مدة من الزمن) دهرها لا تصوم ولا تصلي؟» فأجابت «بلى»، قال «فذلك من نقصان دينها».

ثم قال الرسول «أليست شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل؟»، قالت «بلى»، فقال «هذا من نقصان عقلها»، ثم قال «يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار؟»، فقالت هذه المرأة «وبم كنا أكثر أهل النار؟»، فقال «تكفرن»، فقالت «أنكفر بالله»، فقال «لا.. تكفرن العشير (أي الزوج)، تعيش معه إحداكن الدهر كله بخير، ثم ترى منه يوم سوءٍ، فتقول له ما رأيت منك خيرًا قط». وهذا يحدث إلى اليوم من كثيرات من النساء، فأخذت النساء في التصدق، فكانت المرأة تلقي بخاتمها، وتلقي بخلخالها، وتلقي بعقدها، كل هذا يلقونه في ثوب الصحابي الذي كان مع رسول الله ﷺ صدقة وتقربًا إلى الله.

أنا أقف عند كلمتي نقصان العقل ونقصان الدين، فنقصان العقل نسبة إلى أن شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل، وهذا مأخوذ من قول الله تبارك

وتعالى في سورة البقرة: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة:٢٨٢].

- **كيف طبق الإسلام من وقت النبي ﷺ إلى اليوم هذا النص؟**

- تذهب المرأتان إلى القاضي، حتى يوم الناس هذا، فيقول أيتكما الشاهدة وأيتكما المذكرة، فواحدة تقول أنا الشاهدة يقول لها تقدمي ويقول للمذكرة ابقي وراءها إذا أردت قول شيء تذكرينها به ارفعي إصبعك وهي تتكلم ولا تتكلمي، فتشهد الشاهدة شهادتها التي سألها عنها القاضي، والثانية رفعت إصبعها مرتين عندما تنتهي يسألها القاضي ماذا كنت تريدين؟ فإذا ذكرت شيئًا مهما في الشهادة يتغير به وجه الشهادة يسأل الشاهدة هل الذي قلتيه أولًا هو الصواب أم قولها هو الصواب؟ إذا قالت إن كلام المذكرة صحيح ينتهي الأمر، فنكون أمام شاهدة واحدة، إذا قالت له المذكرة على خطأ وما قلته هو الصحيح يوازن القاضي بين القولين، ويبحث الدليلين ويحكم هو بما يرضي ضميره، وليس بشهادة المذكرة. فنحن أمام شاهدة تشهد ولسنا أمام شاهدتين، نحن أعطينا مزية للمرأة أن تقول إن معي واحدة تذكرني إذا نسيت، لو جاء الرجل بمن يذكره بطلت شهادته، لو الرجل قال لا أذكر إن كان صباحا أم ليلا شهادته تبطل لا يقبلها أحد، لكن لو المرأة هي التي قالت لا أذكر يجوز وتقبل منها شهادتها فهذه مزية للمرأة وليست نقصًا.

والنبي ﷺ سماها «نقصًا» على سبيل المجاز الذي قصدت به الدعابة والمزاح مع هؤلاء النساء، فمن غير المعقول أن الرسول، بمحبته ورقته وكونه ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، يؤذي النساء يوم عيد ويقول لهم أنتن ناقصات عقل ودين. لكن هذا مزاح يقوله على سبيل المجاز والدليل الرد الذي أجاب به المرأة التي سألت عن الأمرين.

أما بالنسبة للدين، فهل تستطيع المرأة الصلاة وهي ممنوعة عنها لسبب شرعي

حيض أو نفاس، إنها لو صلت لأصبحت عاصية، لأن الله منعها من الصلاة في هذه الأيام، لا تستطيع الصوم ولو صامت تكون عاصية، فأين نقصان الدين، هذا ليس تقصيرًا منها، وإنما هو تنفيذ لأمر شرعي، إذن هذا مجاز ومزاح، نكتة يقولها الرسول ﷺ للنساء لكي تقوم امرأة وتسأله فيبين لها هذه الأحكام، واعتبار أن عبارة «المرأة ناقصة عقل ودين» هي موقف الإسلام من المرأة هذا دليل على الجهل بالإسلام، فأحكام الإسلام المتكاملة يجب أن ينظر إليها بعضها مع بعض، وأنا أنصح من يقول ذلك أن يقرأ كتابين أحدهما موسع واسمه «تحرير المرأة في عصر الرسالة» لأخينا المرحوم الأستاذ عبد الحليم محمد أبو شقة، والثاني كتاب مختصر جدًّا لأخينا العزيز الدكتور العلامة محمد هيثم الخياط اسمه «الإسلام والمرأة»، هذان الكتابان كافيان لأي مسلم لكي يعرف موقف الإسلام من المرأة.

- **إلى طبقات العلماء والمشايخ مثل الشيخ الشعراوي والشيخ القرضاوي مَن تعاملت معهم من العلماء المعاصرين؟**

- إذا ذكرت هؤلاء الطبقات لابد أن أبدأ بأول أصحاب الفضل عليّ، شيوخي في طفولتي.. أنا نشأت في الإسكندرية، وكان الوضع الديني والعلمي أن أي إمام في المسجد، أو أي واعظ كبير فيما يسمى بتفتيش الوعظ والإرشاد أو إدارة الوعظ والإرشاد في الأزهر أو الأوقاف يساوى عشرة من أساتذة الجامعة هذه الأيام، هؤلاء كانوا علماء جادين، كل واحد منهم كان بحرا من بحور العلم.

أنا تلقيت العلم على كثيرين منهم أذكر من بداية الطفولة الشيخ منصور النمر[1]، ثم الشيخ محمد الصادق عرجون[2] - رحمه الله - ثم الشيخ إبراهيم

(١) توفي رحمه الله في ٢٦ من ربيع الأول ١٣٩٨هـ = ٥/ ٣/ ١٩٧٨م.
(٢) توفي رحمه الله سنة ١٤٠٠ هـ = ١٩٨١م

حلمي القادري[1]، وكان أصله من تركيا جاء مع شيخ الإسلام صبري أفندي واستقر في الإسكندرية، وعدد آخر من الأئمة الطيبين الصالحين الذين علموني في صغري، لكنى تعلمت العلم الحقيقي وتلقيته تلقيًا مباشرًا من شيخي العلامة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى شلبي[2]، رحمة الله عليه، كان أستاذا للشريعة بجامعة الإسكندرية ثم في جامعة القاهرة، عضوًا قديمًا في مجمع البحوث الإسلامية من الأعضاء الأولين المؤسسين فيه، وعلمًا من أعلام الفقه في الدنيا، وقد لزمته نحوًا من أربعين سنة ملازمة مستمرة في السفر والحضر، سافرت معه وأقمت معه، وعندما كنت أنا مسافرًا خارج البلاد أو هو مسافر كنا نتراسل بالخطابات، زمان لم تكن الاتصالات مثل الآن فكنا نتكاتب على الأقل مرتين في الأسبوع، وأنا أعتز بكلمة قالها لأحد كبار العلماء الأزهريين كان يدرس مادة من المواد على سبيل الانتداب في جامعة الإسكندرية، وكنا نتناقش في مكتب الشيخ شلبي، في مسألة فذكرت كلاما فالشيخ الأزهري الجليل- رحمه الله- قال لي هذا خطأ هو كذا كذا.. فإذا بالشيخ شلبي، وكان جالسًا كما لو كان نائمًا، فأفاق من نومه وقال له يا فلان اتركه فأنا سقيته له، أي علم أصول الفقه، بالملعقة، ما يقوله هو الصحيح، فاعتززت اعتزازًا هائلا أنه قال إنه سقاني أصول الفقه بالملعقة لأنه فعلا فعل هذا - رحمة الله عليه -.

الأئمة العلماء الذين ذكرت بعضهم، أنا أضيف إليهم العلامة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق[3]- رحمة الله عليه - شيخ الأزهر. الشيخ جاد من المشايخ الذين سيذكرهم تاريخ الإسلام لفترة طويلة جدًّا، شجاعة وجرأة وقدرة على المواجهة بأدب، واحترام للنفس وأنفة وعيش بسيط زاهد متواضع،

(١) توفي ساجدًا في صلاة القيام ليلة ٢٧ من رمضان ١٣٩٠هـ = ٢٥/ ١١/ ١٩٧٠م. رحمه الله.
(٢) لقي ربه سبحانه وتعالى نهار يوم الخميس ١٨ من ربيع الآخر ١٤١٨هـ = ٢١/ ٨/ ١٩٩٧م.
(٣) توفي - رحمه الله - بمدينة القاهرة قبيل فجر الجمعة ٢٥ من شوال ١٤١٦هـ = ١٥/ ٣/ ١٩٩٦.

كأنه مازال قاضيا في المحكمة الشرعية، عندما بدأ حياته بعدما تخرج في كلية الشريعة. مهتم بأمر المسلمين.

أنا أذكر أنه كثيرًا ما دعاني لمكتبه - رحمة الله عليه- لأن عنده مشكلة من جنوب إفريقيا، أو عنده مشكلة من إيران، أو عنده مشكلة من إندونيسيا، أو من باكستان، ويأتيه أهالي هذه البلاد فيدعو من يثق به من أهل مصر الذين يتعامل معهم، يحضرون الجلسة ويناقشون الناس ويسمعون منهم، ولاسيما إذا كانوا يتكلمون لغة أجنبية فيترجمون بينه وبينهم، ثم في النهاية يتخذ الموقف والقرار الذي ينم ويدل على عظمة الأزهر وشموخه وسمو مكانته.

الشيخ جاد -رحمة الله عليه- أنا أعلم علم اليقين أنه سئل عن أشياء من حكام دول، ناس ذوي مكانة هائلة، فقال رأيه الذي يعتقد أنه صواب، فلما روجع فيه قال هذا رأي الأزهر، وأنتم تستطيعون أن تصنعوا ما شئتم(!) هذا أمر أصبح نادرًا ولم نسمع به منذ زمن طويل. الشيخ جاد عاش حياته في شقته ومات في شقته، لم يغير في حياته شيئًا، فهو علم من أعلام الزهد، الشعب المصري سيظل يذكره مدة طويلة ويترحم عليه.

الشيخ الشعراوي[1]- رحمة الله عليه- إمام دَرْس إعجاز القرآن، وهذه العبارة ليست لي، وإنما للأخ العزيز الدكتور محمود الطناحي[2]- رحمة الله عليه- قال «بقينا عقودًا من السنين، نحاول أن نُفْهِمَ الناس إعجاز القرآن فعجزنا، فجاء الشيخ الشعراوي فعلَّم الناس إعجاز القرآن في حلقاته التليفزيونية بلغته البسيطة بسلاسة أسلوبه بالأمثلة العامية التي يضربها، فَهِم الناس إعجاز القرآن منه، ولم نستطع نحن إفهامهم إياه في عقود من السنين»، الشيخ الشعراوي تعامل مع النص القرآني تعاملًا هائلًا؛ تعاملًا

(١) توفي - رحمه الله - في ٢٢ من صفر ١٤١٩هـ = ١٧/ ٦/ ١٩٩٨م.

(٢) توفي إلى رحمة الله تعالى يوم الثلاثاء ٦ من ذي الحجة ١٤١٩هـ = ٢٣/ ٣/ ١٩٩٩.

إيمانيًا روحيًا، يدل على صدق المعتقد وسلامة النية وحسن الرغبة في خدمة الإسلام، طبعا الشيخ الشعراوي له مواقف، بعضها سياسي مثل موقفه مع السادات في مجلس الشعب، وبعضها فقهي مثل بعض الفتاوى التي قالها، ولكن كل مخلوق يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله ﷺ.

أما الشيخ الغزالي[1]- رحمة الله عليه- فهو«لم ير مثل نفسه ولم ير الناس مثله»، وهذه العبارة قيلت في شيخ الإسلام ابن تيمية، قالها تلميذه الحافظ الذهبي، فالشيخ الغزالي كان عاطفة محضة، وكان عقلًا خالصًا، ومن العجيب جدًّا أن يجمع الإنسان بين العقل المتوقد الذكي النقي اللماح وبين العاطفة الخالصة، إذا سمع شيئًا يثير العواطف، يبكي، دموعه تنساب، فإذا جاءت قضية نقاشية أو جدلية أو عقدية، تجده يهزم جيوش المجادلين بالحجة والبرهان والدليل، كان نموذجًا فريدًا -رحمة الله عليه- خسرناه خسارة عظيمة، لكن الله يعوض الإسلام والمسلمين خيرًا.

ولنقف عند هذا القدر من الكلام على علمائنا، نترحم على من سبق منهم إلى لقاء الله، وندعو بالخير والتثبيت لمن لا يزال بيننا خادمًا للإسلام ودعوته.

- **من معالم المشروع الفكري والفقهي للدكتور محمد سليم العوَّا أو موجز معالم المشروع الثقافي والفكري والفقهي للدكتور محمد سليم العوَّا؟**

- أنا قلت لك إن حكاية المشروع الثقافي كبيرة عليّ، فأنا طالب في مجال العلم، جندي في مجال الوطن، ولا أملك شيئًا آخر.

- **الحمد لله إننا تشرفنا بهذا اللقاء لكي يعرف الناس جيدًا أنني لا أبالغ أدنى مبالغة.**

- وأنا أظن أن مهمتنا الأساسية الآن، هي إعادة بناء الإنسان المصري، الذي فقد كثيرًا جدًّا من مقوماته الثقافية وهويته الوطنية عبر السنين الـ٥٥ الماضية،

(١) توفي - رحمه الله- في ١٩ من شوال ١٤١٦هـ = ٩/ ٣/ ١٩٩٦م.

ونحن مضطرون إلى أن نعيد البناء من الآن، وأن نعيد البناء مع الأطفال والشباب والرجال والنساء في وقت واحد، لأنك تستطيع أن تعيد بناء الرجل والمرأة مهما كبر سنهما، إذا قدمت إليهما الفكر المناسب، وتستطيع أيضًا أن تبني الأطفال والشباب من جديد إذا قدمت لهم الفكر المناسب، هذا هو خلاصة ما أسعى إليه وأحاول عمله، ولذلك مثلا عندما كانت لنا فرصة أن نصنع مشروعًا في الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين، عملنا مشروع علماء المستقبل[1]، والحمد لله شارك فيه نحو ٤٠٠ رجل وامرأة من مصر وخارجها، والآن هو على الإنترنت يراه ملايين الناس، لأن مهمتنا أن نعيد بناء الفكر والعقل والروح، فنحن في مواجهة أخطر تحد يقابلنا في السنين القادمة، وربما يكون قريبًا جدًّا، وهو تحدى البقاء بيننا وبين الصهاينة.

الصهاينة إما أن يُفنوا أهل فلسطين ويستولوا عليها كلها، وإما أن ينهزموا وتقوم الدولة الموحدة للعرب المسلمين والمسيحيين واليهود في دولة واحدة، المشروع المُقاوِمْ هدفه إقامة الدولة الواحدة، بينما المشروع الاستعماري هدفه إزالة المسلمينَ والمسيحيين من المنطقة وبقاء الصهيونية فقط، ولا نستطيع أن نقود هذا المشروع بجنود «حماس» وحدهم، ولا جنود «الجبهة الشعبية» وحدهم، ولا بـ«حزب الله» وحده، وإنما مصر في مقدمة البلاد والجيوش والقوى التي ستقود الحرب القادمة ضد الاستعمار الصهيوني.

كيف نقود تلك الحرب القادمة، وقد هزمت الهوية، وانهارت المقومات الشخصية للإنسان المصري، هذا مشروعي وأملي وهدفي، أن نساهم مساهمة، حتى ولو كانت يسيرة أو محدودة، في إعادة بناء الشخصية المصرية دينيًا وثقافيًا وفكريًا وسياسيًا ووطنيًا، لأننا بغير هذا كله لا نستطيع أن نقف ونواجه ونصمد ضد عدونا.

---

(١) ألقيت محاضراته في القاهرة، في مقر جمعية رابعة العدوية بمدينة نصر؛ وشارك فيه واستوفى متطلبات النجاح في دوراته الأربع، عدة مئات من العلماء من الرجال والنساء، فضلا عمن شاركوا عبر برنامج التعليم عن بعد من خلال الشبكة الدولية للمعلومات والاتصالات (الإنترنت) من جميع أنحاء العالم.

- **إذا تحدثنا عن العائلة أو الجانب الشخصي للدكتور العوَّا، ماذا تفعل في العيد يا دكتور؟**

- في أول يوم بعد صلاة العيد أكون مع الموجودين من الأبناء أو البنات، نذهب إلى المنزل ونفطر، ونزور عددا من أفراد العائلة في القاهرة، ثم أذهب إلى الإسكندرية لأرى أخواتي وإخواني وأبناءهم وأحفادهم يومًا أو يومين، ولا تخلو هذه الأيام من العمل، لأني من ٤٠ سنة لم أعرف يوم الإجازة.

- **هل تسافر خارج مصر كثيرًا يا دكتور؟**

نعم أسافر حوالي ١٠٠ يوم في السنة، بسبب ارتباطاتي العلمية والمهنية.

- **ما أكثر البلاد التي أحببتها يا دكتور؟**

- مصر، أنا عندي إحساس غريب جدًّا نحو مصر، لقد تركنا مصر في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، بسبب الضيق السياسي الذي كنا فيه، والتُّهم التي وجهت إلينا بغير دليل، وكانت تُهما باطلة في الحقيقة، لكن كلًا أفضى إلى ما قدم، وأنا أذكر ونحن مسافرون أن قلت لزوجتي، أم أولادي، ولم نكن أنجبنا بعد، نحن نسافر طلبًا للحرية وليس للمتعة ولا الغنى، نحن نعيش جيدا وعندنا ما يكفينا من وظيفتي ووظيفتها لكننا لا نستطيع أن نعيش هكذا، وكنت طبعا في انفعال الشباب وكان عندي٢٥ سنة ومنفعل، فقالت لي كلمة غريبة جدًّا – رحمة الله عليها – وهي كانت من أولياء الله الصالحين: «طيب يا محمد إحنا نلف بلاد العالم ولو وجدنا دولة فيها حرية أكتر من مصر نقعد فيها، ولو مالقناش نرجع مصر تاني».

عشنا خارج مصر ما شاء الله لنا أن نعيش وقررنا أن نعود سنة ١٩٨٥ إلى مصر، وأنا لم أنسَ أبدا هذا الحوار، وانتظرت اليوم الذي ستتحدث فيه عنه، فلما عدنا واتخذت مكتبًا للمحاماة وبدأت أشتغل بالتدريس في جامعة الزقازيق، وأمارس نشاطي العام، وجاءت قضية سياسية ذات شأن كبير ووُكلت فيها،

وكنت أحكي في البيت عنها، وهذا من منهجي في التربية أني دائماً أحكي ما حدث في العمل، أحكيه في البيت على سفرة الغداء أو العشاء ليشترك الأولاد في الحياة العامة، فحكيت مرة عن هذه القضية السياسية الكبيرة، فذكرتني بالجملة التي قالتها، وقالت نحن عشنا في بلاد كذا وكذا وكذا، وكنت تعمل في كل هذه البلاد في الجامعات، أي هذه البلاد استطعت أن تقوم فيها بالعمل الذي تقوم به في مصر؟ فقلت لها: ولا واحدة، فقالت: إذا عدنا إلى مصر، وهي أكثر البلاد حرية.

فأنا لا أستطيع أن أرى أنني أحب بلدا آخر أكثر من مصر.

* * *